

لِيُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ ثَمْرَهُمْ فِي شَرْحِ هَذِهِ آيَاتِهِ لِيُذَكِّرُوا الَّذِينَ يَنْسَوْنَ

الكتاب
الثاني
٢

شَرْحُ

المفصلة

مِنْ الْقُرْآنِ الْمَدِينِيِّ

بِإِذْنِ
مَوْلَانَا
السَّيِّدِ
عَلِيِّ بْنِ
إِبْرَاهِيمَ
الْحَمَدِيِّ
عَلَيْهِ
السَّلَامُ

مَنْقُولٌ مِنَ الشَّرْحِ الصَّوْفِيِّ لِغَالِي الشَّيْخِ الشَّكُورِ
صَاحِبِ بَيْتِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَمْدِ الْعُصَيْمِيِّ

عُضُوهُنَا كِبَارِ الْإِسْلَامِ وَالْمَدْرَسِ بِالْمَدِينَةِ الشَّرِيفَةِ
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِأَسْرَائِلِهِمْ

النسخة الأولى

السنه
الأولى
١٤٣٦

مَدِينَةُ شَرَفٍ وَحُجْرَةٌ تَطِيرُ فِيهَا فَضِيلَةُ الشَّيْخِ ٤٤

شَرْحُ

الْمَفِيسَةِ

مِنْ الْقُرْآنِ الْمَدِينِيِّ

مَنْقُولٌ مِنَ الشَّرْحِ الصَّوْتِيِّ لِعَالِي الشَّيْخِ الْكَثِيرِ

صَاحِبِ بَرِّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمْدٍ الْعُصَيْمِيِّ

عُضُوهُ هَيْئَةً كَبِيرًا أَعْلَمَاءُ وَالْمَدْرَسُ بِالْمَدِينَةِ الشَّرِيفَةِ
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِأَسْرَائِلِهِ

النُّسخة الأولى

شَرَحُ

المفصلة

من القرآن الكريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

للإعلام بالأخطاء الطبّاعية والاستدراكات والاقتراحات؛

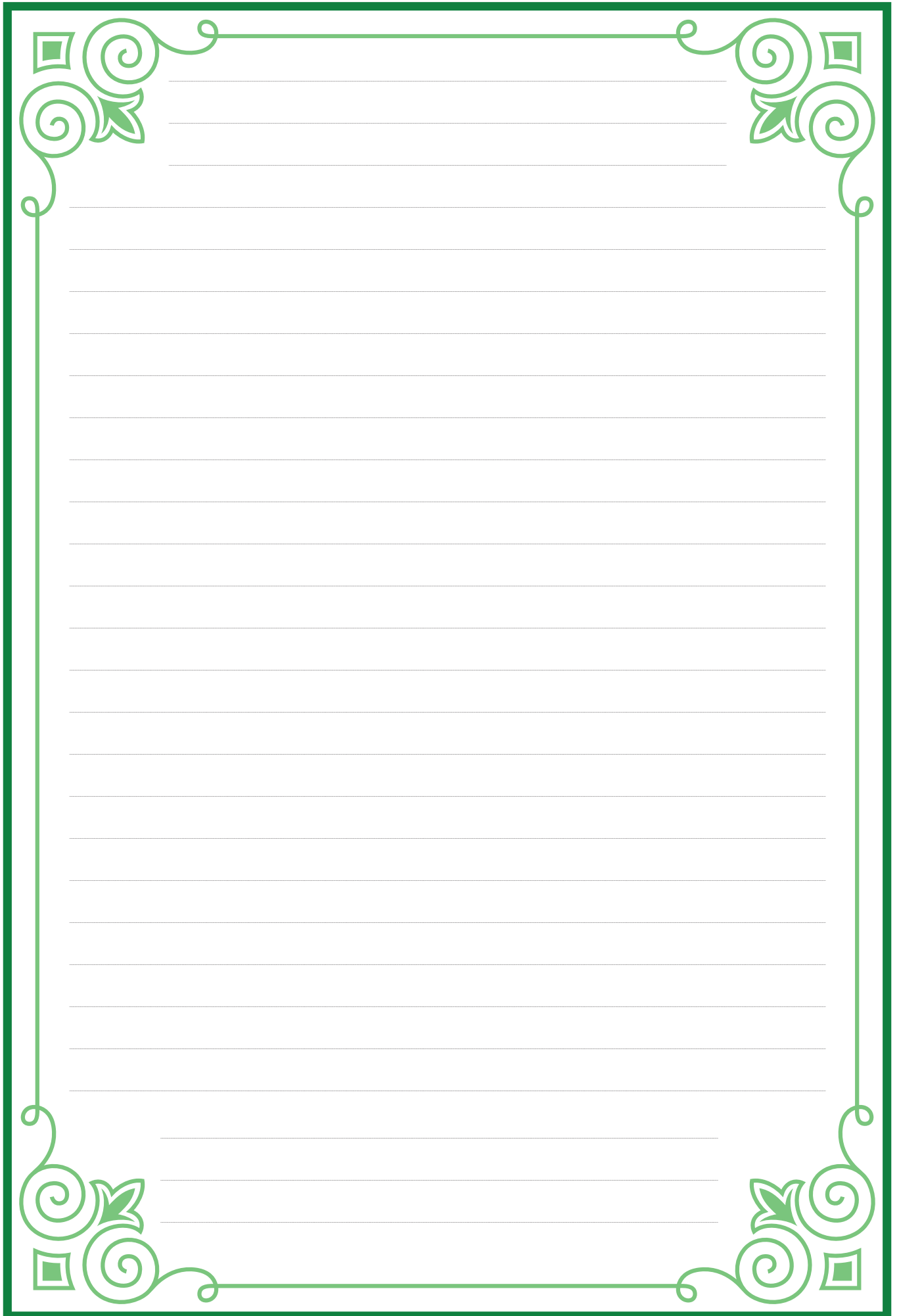
يُرجى المراسلة على البريد التالي: Abdellahdj24@gmail.com



الحمد لله الذي شرع الحجَّ وجعل فيه منافع، وجعل العلمَ منها أنفعَ النافع، وأشهد
ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما نُفِع
الحُجَّاجُ، وعلى آله وصحبه صفوة ركبِ الحاجِّ.
أَمَّا بَعْدُ:

فَهَذَا شَرْحُ (الكتاب الثاني) مِنْ برنامِجِ (منافع العلمِ) فِي (سنتِهِ الأولى)؛
سِتُّ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعُمِائَةٍ وَأَلْفٌ، وَهُوَ كِتَابُ «المُفَسِّرِ مِنَ القُرْآنِ المُبَسَّرِ»، لِمُصَنِّفِهِ
صَالِحِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَمْدِ العَصِيْمِيِّ.





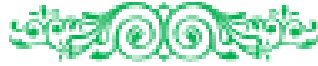
قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَ اللَّهُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله ربَّنَا، وصلَّى اللهُ وسلَّم على عبده ورسوله محمدٍ نبينا، وعلى آله وصحبه
ومن من الهداة بيننا.

أمَّا بعدُ:

فهذه نبذة مُيسَّره، تحوي جملةً من سُورِ القرآنِ وآياته المُفسَّره، هي من أكثره على
الألسنة دَوْرَانَا، وأجدره بالعناية إيضاحًا وتبليغًا، ففيها من جوامع القرآنِ تواليًا: سورةُ
الفتاحه، وآيةُ الكرسيِّ، والآيتانِ من آخرِ سورةِ البقرة، وسورةُ الكافرون، وسورةُ
الإخلاصِ، والمعوذتانِ.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَ اللَّهُ:

ابتدأ المصنّف - وفقه الله - كتابه بالبسملة، ثمَّ أردفها الحمدلة، ثمَّ ثلث بالصلاة
والسلام (على عبده ورسوله محمدٍ)، (وعلى آله وصحبه ومن من الهداة بيننا).

والهداة جمع هادٍ، و(الهادي من الخلق) هو المبيِّن المرشدُ.

وذكر (البيان) وصفًا للهداة إعلامًا بانحصار هدايتهم في التبيين والإرشاد.

فإنَّ الهدايةَ نوعانِ:

- أحدهما: هدايةٌ توفيقٍ وسدادٍ؛ وهذه لله وحده.

• وَالْآخِرُ: هِدَايَةُ بَيَانٍ وَإِرْشَادٍ؛ وَهَذِهِ لِنَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلِكُلِّ مَنْ هَيَّأَ اللَّهُ لَهُ
أَسْبَابَ إِرْشَادِ الْخَلْقِ وَتَعْلِيمِهِمْ.

ثُمَّ ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ أَنَّ الْمَذْكُورَ فِي الْكِتَابِ (نُبْذَةُ مُيسِرِه)، وَالنُّبْذَةُ: اسْمٌ لِمَا قَلَّ، وَهِيَ
مَوْصُوفَةٌ بِالتَّيسِيرِ - أَي السُّهُولَةِ -؛ لِمَا فِيهِ مِنْ كَمَالِ النَّفْعِ، فَإِنَّ الشَّيْءَ إِذَا يُسَّرَ عَظُمَ
نَفْعُهُ، وَإِذَا عُسِّرَ قَلَّ نَفْعُهُ، وَالشَّرْعُ مَبْنِيٌّ عَلَى الْيُسْرِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي
الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسَّرُ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ
مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّ هَذِهِ النُّبْذَةَ (تَحْوِي جُمْلَةً مِنْ سُورِ الْقُرْآنِ وَأَيَاتِهِ الْمُفَسَّرَةِ)، وَاخْتَصَّتْ هَذِهِ
النُّبْذَةُ بِأَمْرَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا مِنْ أَكْثَرِ الْقُرْآنِ (عَلَى الْأَلْسِنَةِ دَوْرَانًا)؛ فَإِنَّ السُّورَ وَالْآيَاتِ الْمَذْكُورَةَ
فِي هَذَا الْكِتَابِ مِمَّا يَتَكَرَّرُ الْعَمَلُ بِهِ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ.

وَالْآخَرُ: أَنَّ تِلْكَ السُّورَ وَالْآيَاتِ هِيَ أَجْدَرُ الْقُرْآنِ (بِالْعِنَايَةِ إِضَاحًا وَتَبْيَانًا)؛ لِأَنَّ مَا
كَثُرَ عَلَى اللِّسَانِ جَرْيَانُهُ اِحْتَاجَتْ النُّفُوسُ إِلَى الْإِعْتِنَاءِ بِبَيَانِهِ، فَأَوْلَى مَا يَتَفَهَّمُهُ الْإِنْسَانُ
وَيُدْرِكُ مَعَانِيَهُ وَحَقَائِقَهُ هُوَ مَا يَجْرِي بِهِ لِسَانُهُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ.

ثُمَّ أَفْصَحَ عَنْ مَضْمُونِ الْكِتَابِ، فَقَالَ: (فَفِيهَا مِنْ جَوَامِعِ الْقُرْآنِ تَوَالِيًا: سُورَةُ
الْفَاتِحَةِ، وَآيَةُ الْكُرْسِيِّ، وَالْآيَاتِ مِنَ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَسُورَةُ الْكَافُرُونَ، وَسُورَةُ
الْإِخْلَاصِ، وَالْمُعَوِّذَاتِ)؛ فَمَضَامِينُ هَذِهِ النُّبْذَةِ الْمَيْسِرَةِ نَوْعَانِ:

أَحَدُهُمَا: سُورَةٌ تَامَّةٌ؛ وَهِيَ خَمْسُ سُورٍ: «الْفَاتِحَةُ»، و«الْكَافُرُونَ»، و«الْإِخْلَاصُ»،
و«الْفَلَقُ»، و«النَّاسُ».

وَشُهْرَتِ الْأَخِيرَتَانِ بِاسْمِ (الْمُعَوِّذَتَيْنِ)؛ لِمَا فِيهِمَا مِنَ التَّعَوُّذِ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَكُلُّ
سُورَةٍ مِنْهُمَا عُوْذَةٌ يُتَعَوَّذُ بِهَا.

وَالْآخِرُ: آيَاتٌ مُخْتَارَةٌ مِنْ «سُورَةِ الْبَقَرَةِ»؛ لِجَلَالَةِ قَدْرِ تِلْكَ الْآيَاتِ وَعَظَمَةِ شَأْنِهَا،
وَهِيَ ثَلَاثُ آيَاتٍ: «آيَةُ الْكُرْسِيِّ»، و«الْآيَاتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ».



قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَقَّ السُّمُّ:

تَفْسِيرُ

سُورَةِ الْفَاتِحَةِ

عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ أَصَلِّي فَدَعَانِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ أَجِبْهُ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ إِنِّي كُنْتُ أَصَلِّي، قَالَ: «أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: ﴿أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أَعَلَّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ»، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَدْنَا أَنْ نَخْرُجَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ إِنَّكَ قُلْتَ: «لَا أَعَلَّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ»، قَالَ: «﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة]، هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيَتْهُ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١)، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمَدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (٢)، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَتْنِي عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (٣)، قَالَ: مَجَدَّنِي عَبْدِي - وَقَالَ مَرَّةً: فَوَضَّ إِلَيَّ عَبْدِي -، فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (٤)، قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿صِرْطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ (٥) غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٦)، قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ

نَسْتَعِينُ ﴿٤﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٥﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴿٦﴾ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا

الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ ﴿الفاتحة﴾.

﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ أَقْرَأُ الْقُرْآنَ؛ فَمَقْصُودُ الْمُبْسِمِ فِي فَاتِحَةِ الْقِرَاءَةِ هُوَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَقْرَأُ.

والاسمُ الأحسنُ (الله) عَلَّمَ عَلَى رَبَّنَا عَزَّوَجَلَّ، ومعناه: المألوهُ المُستَحِقُّ لِإِفْرَادِهِ بِالْعِبَادَةِ.

و﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾: اسمانِ من أسمائه تَعَالَى دَالَّانِ عَلَى رَحْمَتِهِ؛ فَأَوْلُهُمَا دَالٌّ عَلَيْهَا حَالٌ تَعَلَّقَهَا بِهِ فِي سَعَتِهَا، وَالْآخِرُ دَالٌّ عَلَيْهَا حَالٌ تَعَلَّقَهَا بِالْخَلْقِ فِي وُصُولِهَا إِلَيْهِمْ.

وَأَوَّلُ هَذِهِ السُّورَةِ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾﴾؛ فَالْحَمْدُ هُوَ الْإِخْبَارُ عَنِ مَحَاسِنِ الْمَحْمُودِ مَعَ حُبِّهِ وَتَعْظِيمِهِ، وَ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: اسْمٌ إِضَافِيٌّ، فَالرَّبُّ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْمَالِكُ وَالسَّيِّدُ وَالْمُصْلِحُ لِلشَّيْءِ، وَالْعَالَمِينَ جَمْعُ عَالَمٍ، وَهُوَ اسْمٌ لِلْأَفْرَادِ الْمُتَجَانِسَةِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، فَكُلُّ جِنْسٍ مِنْهَا يُطَلَقُ عَلَيْهِ عَالَمٌ، فَيُقَالُ: عَالَمُ الْإِنْسِ، وَعَالَمُ الْجِنِّ، وَعَالَمُ الْمَلَائِكَةِ.

وَرُبُوبِيَّتُهُ عَزَّوَجَلَّ لَمْ تُنْتَجِ ظُلْمًا؛ بَلْ مَضْمُونُهَا الْعِنَايَةُ بِالْخَلْقِ وَرَحْمَتُهُمْ، وَلِهَذَا وَصَفَ نَفْسَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾﴾، فَهُوَ رَحْمَنٌ وَسِعَتْ رَحْمَتُهُ جَمِيعَ الْخَلْقِ، رَحِيمٌ يُوَصِّلُ رَحْمَتَهُ إِلَيْهِمْ.

ثُمَّ أَكَّدَ رُبُوبِيَّتَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ٢٠﴾، وَهُوَ يَوْمُ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ١٨ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ١٩﴾ [الانفطار]، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَخَصَّهُ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُ يَظْهَرُ فِيهِ لِلخَلْقِ كَمَالُ مُلْكِ اللَّهِ تَمَامَ الظُّهُورِ؛ لِانْقِطَاعِ أَمْلَاكِ الْخَلَائِقِ؛ وَإِلَّا فَهُوَ مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَيَّامِ.

وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٤﴾؛ أَي نَخُصُّكَ وَحَدَّكَ بِالْعِبَادَةِ، وَنَسْتَعِينُ بِكَ وَحَدَّكَ فِي جَمِيعِ أُمُورِنَا، وَعِبَادَةُ اللَّهِ: تَأْلُهُ الْقَلْبَ لَهُ بِالْحُبِّ وَالخُضُوعِ، وَالْمَأْمُورُ بِهِ فِيهَا امْتِثَالُ خُطَابِ الشَّرْعِ، وَالِاسْتِعَانَةُ بِهِ هِيَ طَلَبُ الْعَبْدِ الْعَوْنِ مِنْهُ فِي الْوُصُولِ إِلَى الْمَقْصُودِ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ٥﴾؛ أَي دُلَّنَا وَأرْشِدْنَا إِلَيْهِ، وَثَبَّنَا عَلَيْهِ حَتَّى نَلْقَاكَ وَهُوَ الْإِسْلَامُ، ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ٦﴾ الْمُتَّبِعِينَ لِلْإِسْلَامِ الَّذِي جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿غَيْرِ﴾ صِرَاطِ ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ الَّذِينَ عَرَفُوا الْحَقَّ وَلَمْ يَعْمَلُوا بِهِ، وَهُمْ الْيَهُودُ، وَمَنْ عَدَلَ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَنِ عِلْمٍ فِيهِ شَبَهُ مِنْهُمْ، ﴿وَلَا﴾ صِرَاطِ ﴿الضَّالِّينَ ٧﴾ الَّذِينَ تَرَكُوا الْحَقَّ عَنْ جَهْلِ فَلَمْ يَهْتَدُوا وَضَلُّوا الطَّرِيقَ، وَهُمْ النَّصَارَى، وَمَنْ عَدَلَ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَنْ جَهْلِ فِيهِ شَبَهُ مِنْهُمْ.

قَالَ الشَّارِحُ وَقَفَّيْتُ:

ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ - وَفَّقَهُ اللَّهُ - فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ (تَفْسِيرَ سُورَةِ الْفَاتِحَةِ).

وَابْتَدَأَ تَفْسِيرَ السُّورَةِ بِذِكْرِ فَضْلِهَا؛ لِأَنَّ تَقْدِيمَ فَضْلِ الشَّيْءِ يَحْمِلُ النُّفُوسَ عَلَى التَّشَوُّفِ إِلَيْهِ.

وَذَكَرَ فِي فَضْلِهَا حَدِيثَيْنِ:

فَالْحَدِيثُ الْأَوَّلُ: حَدِيثُ (أَبِي سَعِيدِ ابْنِ الْمُعَلَّى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)؛ أَنَّهُ (قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي فَدَعَانِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...) الْحَدِيثَ.

وَدَلَالَتُهُ عَلَى فَضْلِ «الْفَاتِحَةِ» مِنْ ثَلَاثَةِ وَجُوهِ:

* أَوَّلُهَا: فِي قَوْلِهِ: («أَلَا أَعْلَمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ»)، ثُمَّ قَالَ: («﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ

رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾﴾ [الْفَاتِحَةُ]»؛ فَ«سُورَةُ الْفَاتِحَةِ» هِيَ أَعْظَمُ سُورِ الْقُرْآنِ.

* وَثَانِيهَا: فِي قَوْلِهِ: («هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي»)، فَمِنْ فَضْلِ «الْفَاتِحَةِ» أَنْصَافُهَا بِكَوْنِهَا

«السَّبْعَ الْمَثَانِي».

وَالسَّبْعُ مَرْدُّهُ إِلَى عَدَدِ آيَاتِهَا؛ فَإِنَّ آيَاتِ «الْفَاتِحَةِ» سَبْعٌ، لَمْ يَخْتَلَفِ الْعَادُّونَ فِيهَا،

لَكِنْ اخْتَلَفُوا فِي مَوْضِعِ الْعَدِّ مِنْ آيَاتِهَا.

وَمَعْنَى (الْمَثَانِي): الَّتِي تُثْنَى مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ.

وَتَثْنِيَةُ «الْفَاتِحَةِ» نَوْعَانِ:

• أَحَدُهُمَا: تَثْنِيَةُ تَعَلُّقِ بِالْمَبَانِي - أَيِ بِكَلِمَاتِهَا -؛ إِذْ تَتَوَالَى بَعْضُهَا بَعْدَ بَعْضٍ

مَقْرُوءَةً فِي الصَّلَاةِ.

• وَالْآخِرُ: تَشْبِيهُ تَتَعَلَّقُ بِالْمَعَانِي؛ لِمَا فِيهَا مِنْ رَدِّ أَنْوَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنَ الْمَعَانِي بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ.

فَقَوْلُهُ: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ و﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ مِنْ صِفَاتِ الْجَلَالِ لِلَّهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ مِنْ صِفَاتِ الْجَمَالِ لِلَّهِ.

وَصَدْرُ السُّورَةِ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ هُوَ اللَّهُ.

وَآخِرُهَا مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إِلَى تَمَامِهَا هُوَ لِلْعَبِيدِ.

* وَثَالِثُهَا: فِي قَوْلِهِ: «**وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيَتْهُ**»، وَاخْتُلِفَ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْجُمْلَةِ عَلَى قَوْلَيْنِ:

• أَحَدُهُمَا: أَنَّ «الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ» وَصَفٌ لِلْفَاتِحَةِ، مَعْنَاهُ: (الْمَقْرُوءُ الْعَظِيمُ)؛ فَأَعْظَمُ مَقْرُوءٍ فِي الْقُرْآنِ هُوَ «سُورَةُ الْفَاتِحَةِ».

• وَالْآخِرُ: أَنَّ «الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ» وَصَفٌ لِلْكِتَابِ كُلِّهِ الَّذِي أُوتِيَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَعَلَى الْأَوَّلِ: يَكُونُ وَصْفًا لِلْفَاتِحَةِ بَعْدَ وَصْفِ.

وَعَلَى الثَّانِي: يَكُونُ مِنْ عَطْفِ الْعَامِّ عَلَى الْخَاصِّ.

وَالْحَدِيثُ الثَّانِي: حَدِيثُ (أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)؛ أَنَّهُ (قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ...**») الْحَدِيثُ.

وَدِلَالَتُهُ عَلَى فَضْلِ «الْفَاتِحَةِ»: فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: («**قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي**

نُصْفَيْنِ»)، مِنْ وَجْهَيْنِ:

* أَحَدُهُمَا: فِي تَسْمِيَةِ «الْفَاتِحَةِ» صَلَاةً؛ بِجَعْلِ (الْجُزْءِ) اسْمًا لِجَمِيعِ الْأَقْوَالِ

والأفعالِ في الصَّلَاةِ تَعْظِيمًا لَهُ؛ فَتَقْدِيرُ الْحَدِيثِ: (قَسَمْتُ الْفَاتِحَةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نَصْفَيْنِ).

* وَالْآخَرُ: فِي قَوْلِهِ: («بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نَصْفَيْنِ»)، فَمِنْ فَضْلِ «الْفَاتِحَةِ»: أَنَّ اللَّهَ جَمَعَ فِيهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْفَضْلِ:

▪ فَحَقُّهُ سُبْحَانَهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴿﴾ [الْفَاتِحَةُ].

▪ وَفَضْلُهُ سُبْحَانَهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٤﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٥﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴿٦﴾ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ ﴿﴾ [الْفَاتِحَةُ].

ثُمَّ شَرَعَ الْمُصَنِّفُ يُفَسِّرُ مَعَانِي «الْفَاتِحَةِ» عَلَى مَا يُنَاسِبُ الْمَقَامَ؛ فَقَالَ: («بِسْمِ اللَّهِ» أَقْرَأُ الْقُرْآنَ؛ فَمَقْصُودُ الْمُبْسَمِلِ فِي فَاتِحَةِ الْقِرَاءَةِ هُوَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَقْرَأُ؛ أَيْ أَشْرَعُ فِي الْقِرَاءَةِ مُتَلَبِّسًا بِاسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

وَالْفِعْلُ الْمُقَدَّرُ فِي مُتَعَلِّقِ الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ فِي قَوْلِهِ: («بِسْمِ اللَّهِ» هُوَ (أَقْرَأُ)؛ لِمُنَاسَبَتِهِ الْمَقَامَ، فَإِنَّ الْمُبْسَمِلَ بَيْنَ يَدَيْ «الْفَاتِحَةِ» يُرِيدُ مُلَابَسَتَهُ ذِكْرَ اسْمِ اللَّهِ لِاسْتِفْتَاحِ الْقِرَاءَةِ.

ثُمَّ ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ أَنَّ (الاسْمَ الْأَحْسَنَ (اللَّهُ) عَلَّمَ عَلَيَّ رَبَّنَا عَزَّوَجَلَّ)؛ فَلَا يُسَمَّى بِهِ غَيْرُهُ.

وَالْأَسْمَاءُ الْإِلَهِيَّةُ وَقَعَ وَصَفُهَا فِي خُطَابِ الشَّرْعِ بِثَلَاثَةِ أَوْصَافٍ:

- أَحَدُهَا: الْأَحْسَنُ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فَ«الْحُسْنَى»: فَعْلَى مِنْ الْحُسْنِ، وَالتَّأْنِيثُ مُنَاسِبٌ لِلجَمْعِ، وَالوَاحِدُ مِنْهَا يُقَالُ لَهُ:

الاسمُ الأحسنُ.

• وثانيها: الاسمُ الأجلُّ.

• وثالثها: الاسمُ الأكرمُ.

وهذان في قوله تعالى: ﴿نَبِّزَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ﴿٧٨﴾ [الرَّحْمَنُ]، في قراءة ابنِ عامرٍ الشَّاميِّ؛ ف(الجلالُ) و(الإكرامُ) في قراءته صفةٌ للاسمِ الإلهيِّ.

وهذه الأوصافُ الثلاثة هي الواردةٌ في خطابِ الشَّرعِ؛ فأسعدُ النَّاسِ بالخبرِ عن الله هُم مَنْ أَخْبَرَ عَنْهُ بِمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ أَوْ أَخْبَرَ بِهِ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا عَدَا هَذَا فَلَا يَخْلُو مِنْ مُنَازَعَةٍ شَرْعِيَّةٍ أَوْ لُغَوِيَّةٍ، وَلِبَسْطِهِ مَوْضِعٌ آخَرُ.

ثُمَّ بَيَّنَّ مَعْنَى (اللهِ)، فَقَالَ: **(ومعناه: المألوه المستحقُّ لإفراجه بالعبادة)**؛ أَي مَنْ تَأَلَّهَهُ الْقُلُوبُ بِالْحُبِّ وَالخُضُوعِ.

وَتَوَجَّهَ الْقُلُوبُ إِلَيْهِ لِاسْتِحْقَاقِهِ وَحُدَّةِ الْعِبَادَةِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطِلُ﴾ [لقمان: ٣٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَطِلُ﴾ [الحج: ٦٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنََّّهُ يُمِئُّ الْمَوْتِ﴾ [الحج: ٦].

ثُمَّ بَيَّنَّ مَعْنَى ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، فَقَالَ: **(اسمَانِ مِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى دَالَّانِ عَلَى رَحْمَتِهِ...)** إِلَى آخِرِ مَا ذَكَرَ.

فَالْأَسْمَانِ (الرَّحْمَنِ) وَ(الرَّحِيمِ) يَشْتَرِكَانِ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى صِفَةِ (الرَّحْمَةِ)، وَيَفْتَرِقَانِ فِي كَيْفِيَّةِ الدَّلَالَةِ عَلَيْهَا.

▪ فَاسْمُ (الرَّحْمَنِ) يَدُلُّ (عَلَيْهَا حَالَ تَعَلُّقِهَا بِهِ) - أَي بِذَاتِهِ - (فِي سَعَتِهَا).

▪ وَاسْمُ (الرَّحِيمِ) يَدُلُّ (عَلَيْهَا حَالٌ تَعَلَّقَهَا بِالخَلْقِ فِي وَصُولِهَا إِلَيْهِمْ).

قَالَ اللَّهُ فِي الْأَوَّلِ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ﴿٥﴾ [طه].

وَقَالَ فِي الثَّانِي: ﴿إِنَّا اللَّهُ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١٤٣﴾ [البقرة].

وهذا أحسن ما قيل في الفرق بينهما، وهو اختيار أبي عبد الله ابن القيم في «بدائع الفوائد»، وأشارت إليه بقولي:

وَرَحْمَةٌ لِلَّهِ مَهْمَا عُلِّقَتْ بِذَاتِهِ فَالاسْمُ (رَحْمَنٌ) ثَبَتَ
أَوْ عُلِّقَتْ بِخَلْقِهِ الَّذِي رَحِمَ فَسَمَّاهُ (الرَّحِيمَ) فَازَ مَنْ سَلِمَ

ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ (أَوَّلَ هَذِهِ السُّورَةِ): ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١﴾، وَهُوَ مَصِيرٌ مِنْهُ إِلَى

مُخَالَفَةِ الْعَدِّ الْمَشْهُورِ فِي رِوَايَةِ حَفْصٍ، وَهُوَ عَدُّ الْكُوفِيِّينَ الَّذِينَ يُعَدُّونَ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ آيَةً مِنَ «الْفَاتِحَةِ».

وَعَلَى الْقَوْلِ الثَّانِي: يَكُونُ مُبْتَدَأُ الْعَدِّ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

﴾ ﴿١﴾، ثُمَّ تُجْعَلُ الْآيَةُ السَّادِسَةُ آيَتَيْنِ؛ مُتَّهَى الْأُولَى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ﴿٦﴾

فَتَكُونُ السَّادِسَةُ، ثُمَّ تَكُونُ السَّابِعَةُ ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ ﴿٧﴾.

ثُمَّ بَيَّنَّ مَعْنَى (الْحَمْدِ)، فَقَالَ: (هُوَ الْإِخْبَارُ عَنْ مَحَاسِنِ الْمَحْمُودِ مَعَ حُبِّهِ وَتَعْظِيمِهِ)؛

فَمَدَارُ الْحَمْدِ عَلَى أَمْرَيْنِ:

- أَحَدُهُمَا: الْإِخْبَارُ عَنْ مَحَاسِنِ الْمَحْمُودِ.
- وَالْآخَرُ: اقْتِرَانُ الْإِخْبَارِ بِالْحُبِّ وَالتَّعْظِيمِ.

ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: اسْمٌ إِضَافِيٌّ؛ فَالْأَسْمَاءُ الْإِلَهِيَّةُ بِاعْتِبَارِ الْإِفْرَادِ وَالْإِضَافَةِ نَوْعَانِ:

- أَحَدُهُمَا: أَسْمَاءُ إِلَهِيَّةٌ مُفْرَدَةٌ؛ مِثْلُ: اللهُ، وَالرَّحْمَنِ، وَالرَّحِيمِ.
- وَالْآخَرُ: أَسْمَاءُ إِلَهِيَّةٌ مُضَافَةٌ؛ مِثْلُ: رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَمَالِكِ الْمَلِكِ، وَعَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ.

ذَكَرَهُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ فِي «الْفَتَاوَى الْمِصْرِيَّةِ»، وَشَيْخُنَا ابْنُ بَازٍ فِي بَعْضِ أَجْوِبَتِهِ.

فَاسْمُ (رَبِّ الْعَالَمِينَ) مِنَ الْأَسْمَاءِ الْمُضَافَةِ.

وَبِهِ يُدْعَى، وَقَدْ نَقَلَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ الْحَفِيدُ إِجْمَاعَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى دُعَاءِ اللهِ بِالْأَسْمَاءِ الْمُضَافَةِ.

ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ (الرَّبَّ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْمَالِكُ، وَالسَّيِّدُ، وَالْمُصْلِحُ لِلشَّيْءِ)؛ فَمَدَّارُهُ عَلَى هَذِهِ الْمَعَانِي الثَّلَاثَةِ؛ ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَثَرِيِّ وَغَيْرُهُ.

وَمَا يُوجَدُ فِي كَلَامِ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ الزِّيَادَةِ عَلَيْهَا - حَتَّى بَلَغَهَا أَحْمَدُ بْنُ أَحْمَدَ السُّجَاعِيُّ الْأَزْهَرِيُّ ثَلَاثِينَ مَعْنَى - كُلُّهُ مِمَّا يُرَدُّ إِلَى هَذِهِ الْمَعَانِي الثَّلَاثَةِ، وَإِلَيْهَا أَشْرْتُ بِقَوْلِي:

سَيِّدُهُمْ وَمَالِكُ وَالْمُصْلِحُ لِلرَّبِّ مَعْنَى فِي اللِّسَانِ

ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ (الْعَالَمِينَ جَمْعُ عَالَمٍ، وَهُوَ اسْمٌ لِلْأَفْرَادِ الْمُتَجَانِسَةِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ)، وَ(الْأَفْرَادِ الْمُتَجَانِسَةُ) هِيَ الْأَفْرَادُ الْمَشْرُوكَةُ فِي جِنْسٍ وَاحِدٍ.

قَالَ: (فَكُلُّ جِنْسٍ مِنْهَا يُطَلَقُ عَلَيْهِ عَالَمٌ، فَيُقَالُ: عَالَمُ الْإِنْسِ، وَعَالَمُ الْجِنِّ، وَعَالَمُ الْمَلَائِكَةِ)، وَإِذَا لَمْ تَنْتَظِمِ تِلْكَ الْأَفْرَادُ فِي جِنْسٍ لَمْ تُسَمَّ (عَالَمًا)، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِ اللهِ

أفرادٌ لا عالمَ لها؛ كالعرشِ والكُرسيِّ الإلهيِّين، والجنَّةِ والنَّارِ.

فمخلوقاتُ الله نواعان:

• أحدهما: مخلوقاتٌ مُتجانِسةٌ، يُسمَّى كُلُّ واحدٍ مِنْهَا (عَالَمًا)؛ كالأِنسِ والجنِّ والملائكةِ

• والآخرُ: مخلوقاتٌ أَفرادٌ؛ كالعرشِ والكُرسيِّ والجنَّةِ والنَّارِ.

وطريقُ الحُكْمِ عَلَى مَخْلُوقَاتٍ مَا بِالِاشْتِرَاكِ فِي الْجِنْسِ أَوِ الْاِنْفِرَادِ هُوَ اللِّسَانُ الْعَرَبِيُّ، لَا الْمَوَاضِعَاتِ الْاِصْطِلَاحِيَّةِ الْمُتَأَخَّرَةُ؛ فَمَنْ يَقُولُ: (إِنَّ تِلْكَ الْاَفْرَادَ الْمَذْكُورَةَ اَفْرَادًا - وَهِيَ الْكُرْسِيُّ وَالْعَرْشُ وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ - يَجْمَعُهَا مَعَ غَيْرِهَا: عَالَمُ الْجَمَادِ) لَا يُوَافِقُ الْوَضْعَ اللُّغَوِيَّ، وَإِنَّمَا يَجْرِي عَلَى الْمَوَاضِعَاتِ الْاِصْطِلَاحِيَّةِ الْمُتَأَخَّرَةِ، وَصِفَاتِ الْحَيَاةِ وَعَدَمِهَا تَجْرِي فِي خِطَابِ الشَّرْعِ عَلَى غَيْرِ مَا عَلَيْهِ عُلَمَاءُ الْمَعْرِفَةِ الْحَدِيثَةِ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْأَحْجَارَ وَالْأَشْجَارَ مَسْلُوبَةُ الْإِرَادَةِ فَلَا يَصْدُرُ مِنْهَا فِعْلٌ، وَهَذَا خِلَافٌ مَا فِي الْقُرْآنِ، فَإِنَّ اللَّهَ أَضَافَ إِلَى أَشْيَاءٍ مِمَّا يُسَمِّيهَا هَؤُلَاءِ بِالْجَمَادَاتِ، أَضَافَ إِلَيْهَا صِفَاتٍ لِلْحَيَاةِ؛ فَقَالَ فِي جِدَارِ مُوسَى وَالْخَضِرِ: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ﴾ [الكهف: ٧٧]، فِي نِظَائِرٍ أُخْرَى فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

وَمِنَ الْغَلَطِ الْجَارِي: تَفْسِيرُ الْحَقَائِقِ الشَّرْعِيَّةِ بِالْمَوَاضِعَاتِ الْاِصْطِلَاحِيَّةِ الْمُتَأَخَّرَةِ، وَالْعُدُولُ عَنْ وَضْعِ الشَّرْعِ وَاللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ.

كَالَّذِي يُفَسِّرُ الْقُرْآنَ، فَإِذَا أَتَى إِلَى ذِكْرِ الْكَوْكَبِ وَالنَّجْمِ قَالَ: (وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ الْكَوْكَبَ جُرْمٌ مُعْتَمٌ، وَالنَّجْمَ جُرْمٌ مُضِيٌّ)، فَإِنَّ هَذَا الْفَرْقَ لَا يَجْرِي وَفَقَ لِسَانِ الْعَرَبِ وَلَا خِطَابِ الشَّرْعِ، وَإِنَّمَا هُوَ مَوَاضِعَةٌ اِصْطِلَاحِيَّةٌ مُتَأَخَّرَةٌ لِأَهْلِ الْهَيْئَةِ الْحَدِيثَةِ فِي عِلْمِ الْفَلَكِ.

وَمِنْ قَوَاعِدِ بَيَانِ الْخِطَابِ الشَّرْعِيِّ: أَنَّ الْخِطَابَ الشَّرْعِيَّ لَا يُفَسَّرُ بِالْمُصْطَلَحِ الْحَادِثِ؛ ذَكَرَهُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ الْحَفِيدُ وَغَيْرُهُ.

ثُمَّ بَيَّنَ الْمُصَنِّفُ أَنَّ رُبُوبِيَّةَ اللَّهِ (لَمْ تُنْتَجِ ظُلْمًا؛ بَلْ مَضْمُونُهَا الْعِنَايَةُ بِالْخَلْقِ وَرَحْمَتُهُمْ، وَلِهَذَا وَصَفَ نَفْسَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ٢٠، فَهُوَ رَحْمَنٌ وَسِعَتْ رَحْمَتُهُ جَمِيعَ الْخَلْقِ، رَحِيمٌ يُوصِلُ رَحْمَتَهُ إِلَيْهِمْ)؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَمَّا ذَكَرَ فِي صَدْرِ السُّورَةِ عُمُومَ رَحْمَتِهِ لِلْعَالَمِينَ فِي قَوْلِهِ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ١ - الْمُتَضَمِّنَةَ كَمَا لَقُدْرَتِهِ، وَشِدَّةَ بَأْسِهِ، وَتَمَامَ مُلْكِهِ -؛ أَرَدَفَهَا بِقَوْلِهِ: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ٢٠؛ لِيُعْلَمَ أَنَّ رُبُوبِيَّةَ التَّامَّةَ لَمْ تُنْتَجِ ظُلْمًا، بَلْ حَقِيقَتُهَا الْعِنَايَةُ بِالْخَلْقِ وَرَحْمَتُهُمْ؛ فَإِنَّهُ سُمِّيَ (رَبًّا) لِمَا يَغْدُو بِهِ الْخَلْقَ مِنَ النِّعَمِ، وَيُحِيطُهُمْ بِهِ مِنَ الْعِنَايَةِ، وَيَجْعَلُهُمْ فِيهِ مِنَ الصِّيَانَةِ.

قَالَ: (ثُمَّ أَكَّدَ رُبُوبِيَّتَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ٢١، وَهُوَ يَوْمُ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ)، وَتَفْسِيرُهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ ١٧ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ١٨ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ١٩ [الانفطار]، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ).

وَالدِّينُ مُرَكَّبٌ مِنْ أَمْرَيْنِ:

• أَحَدُهُمَا: الْحِسَابُ، وَهُوَ مُقَدَّمَةٌ.

• وَالْآخَرُ: الْجَزَاءُ، وَهُوَ خَاتِمَةٌ.

ثُمَّ ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ أَنَّ اللَّهَ خَصَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُ يَظْهَرُ فِيهِ لِلْخَلْقِ كَمَا لِمُلْكِ اللَّهِ تَمَامَ الظُّهُورِ؛ لِانْقِطَاعِ أَمْلَاكِ الْخَلَائِقِ)؛ فَإِنَّ الدُّنْيَا دَارُ ادِّعَاءٍ لِأَنْوَاعٍ مِنَ الْأَمْلَاكِ، فَإِذَا صَارَ النَّاسُ إِلَى الْآخِرَةِ انْقَطَعَتْ تِلْكَ الْأَمْلَاكُ، فَلَا مُلْكَ إِلَّا لِلَّهِ، ﴿لِمَنْ أَلْمَلِكُ الْيَوْمِ﴾

لِلَّهِ الْوَحْدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ [غافر]، فِي آيٍ أُخْرَى تَدُلُّ انْفِرَادَهُ سُبْحَانَهُ بِالْمُلْكِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.
وَهُوَ سُبْحَانَهُ (مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَيَّامِ)، لَكِنْ يَخْتَصُّ يَوْمَ الدِّينِ بِتَجَلِّي
انْفِرَادِهِ سُبْحَانَهُ بِالْمُلْكِ.

ثُمَّ بَيَّنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (٤)، فَقَالَ: (أَيُّ نَخْصُكَ
وَحَدِّكَ بِالْعِبَادَةِ، وَنَسْتَعِينُ بِكَ وَحَدِّكَ فِي جَمِيعِ أُمُورِنَا)، وَإِفْرَادَهُ سُبْحَانَهُ بِهَذَيْنِ مُسْتَفَادٍ
مِنْ تَقْدِيمِ مَا حَقُّهُ التَّأخِيرُ، فَتَقْدِيرُ الْكَلَامِ: (نَعْبُدُ إِيَّاكَ وَنَسْتَعِينُ بِكَ)، فَلَمَّا قِيلَ فِي الْآيَةِ:
(﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾) اسْتَفِيدَ مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ تَخْصِيصُهُ سُبْحَانَهُ بِالْعِبَادَةِ
وَالِاسْتِعَانَةِ.

ثُمَّ بَيَّنَّ الْمُصَنِّفُ مَعْنَى الْعِبَادَةِ، فَقَالَ: (وَعِبَادَةُ اللَّهِ: تَأْلُهُ الْقَلْبَ لَهُ بِالْحُبِّ وَالْخُضُوعِ)،
فَتَوَجَّهَ الْقَلْبُ إِلَى اللَّهِ مَحَبَّةً وَخُضُوعًا يُسَمَّى (عِبَادَةً).
(وَالْمَأْمُورُ بِهَا) الْمُوَافِقُ لِلشَّرْعِ الَّذِي تَصَدَّقُ بِهِ الدَّعْوَى فِي عِبَادَةِ اللَّهِ: وَقُوعُهَا وَفَقَّ
(امْتِثَالِ خِطَابِ الشَّرْعِ).

فَدِ الْعِبَادَةُ (شَرَعًا هِيَ امْتِثَالُ خِطَابِ الشَّرْعِ الْمُقْتَرَنُ بِالْحُبِّ وَالْخُضُوعِ.
وَهَذَا هُوَ الْمَعْنَى الْعَامُّ لِلْعِبَادَةِ.

فَالْعِبَادَةُ تُطَلَّقُ فِي الشَّرْعِ عَلَى مَعْنَيْنِ:

- أَحَدُهُمَا: مَعْنَى عَامٌّ؛ وَهُوَ امْتِثَالُ خِطَابِ الشَّرْعِ الْمُقْتَرَنُ بِالْحُبِّ وَالْخُضُوعِ.
- وَالْآخَرُ: مَعْنَى خَاصٌّ؛ وَهُوَ التَّوْحِيدُ.

وَالْمَعْنَى الْخَاصُّ هُوَ الْمُرَادُ فِي خِطَابِ الشَّرْعِ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ، فَإِذَا أُطْلِقَ اسْمُ
(الْعِبَادَةِ) فِي الشَّرْعِ فَالْمُرَادُ بِهِ تَوْحِيدُ اللَّهِ؛ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كُلُّ أَمْرٍ بِالْعِبَادَةِ فِي

القرآنِ فهو التَّوْحِيدُ». ذَكَرَهُ البَغَوِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ».

ثُمَّ ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ مَعْنَى (الاستعانة)، فَقَالَ: (والاستعانةُ بِهِ هِيَ طَلَبُ الْعَبْدِ الْعَوْنِ مِنْهُ فِي الْوُصُولِ إِلَى الْمَقْصُودِ)؛ وَالطَّلَبُ مَذْلُومٌ عَلَيْهِ بِ(الْأَلْفِ وَالسِّينِ وَالتَّاءِ)، وَالْعَوْنُ مُسْتَفَادٌ مِنْ اقْتِرَانِ (الْأَلْفِ وَالسِّينِ وَالتَّاءِ) بِهِ فِي اسْمِ (الاستعانة)، وَالْعَبْدُ يَطْلُبُ الْعَوْنَ فِي الْوُصُولِ إِلَى مَقْصُودِهِ.

ثُمَّ بَيَّنَّ تَفْسِيرَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٥﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴿٦﴾ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ ﴾، فَقَالَ: (ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٥﴾ ﴾؛ أَي دَلَّنَا وَأَرْشَدْنَا إِلَيْهِ، وَثَبَّتْنَا عَلَيْهِ حَتَّى نَلْقَاكَ).

فَالْهُدَايَةُ الْمَسْئُولَةُ مِنَ اللَّهِ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ نَوْعَانِ:

- إِحْدَاهُمَا: هِدَايَةٌ وَوُصُولٌ إِلَيْهِ.
- وَالْأُخْرَى: هِدَايَةٌ ثَبَاتٌ عَلَيْهِ.

فَالْعَبْدُ يَسْأَلُ رَبَّهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَهْدِيَهُ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ بِدَلَالَتِهِ وَإِرْشَادِهِ إِلَيْهِ، وَيَسْأَلُهُ أَيْضًا فِي قَوْلِهِ: ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٥﴾ ﴾ أَنْ يُثَبِّتَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ حَتَّى يَلْقَاهُ.

ثُمَّ فَسَّرَ (الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)، فَقَالَ: (وَهُوَ الْإِسْلَامُ)؛ لِحَدِيثِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ: «فَالصِّرَاطُ الْإِسْلَامُ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ، وَهُوَ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ وَابْنِ مَاجَةَ بِإِسْنَادٍ آخَرَ ضَعِيفٍ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴿٦﴾ ﴾ الْمُتَّبِعِينَ لِلْإِسْلَامِ الَّذِي جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَضْيَفَ (الصِّرَاطُ) إِلَيْهِمْ لِأَنَّهُمْ سَالِكُوهُ؛ فَهُمْ الَّذِينَ شَرَعُوا فِيهِ، وَنَقَلُوا قُلُوبَهُمْ بَيْنَ مَنَازِلِهِ.

وَاسْتَحَقُّوا الْإِنْعَامَ مِنَ اللَّهِ لِأَنَّهُ هُوَ صِرَاطُهُ الَّذِي رَضِيَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

ف(الصِّراط المستقيم) وقع في القرآن إضافة على وجهين:

• أَحَدُهُمَا: إِضَافَتُهُ إِلَى اللَّهِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾

[الأنعام: ١٥٣].

• وَالْآخَرُ: إِضَافَتُهُ إِلَى الْخَلْقِ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾

[الفاتحة].

وَالِإِضَافَتَانِ تُصَدِّقُ إِحْدَاهُمَا الْآخَرَى:

▪ فَإِضَافَتُهُ إِلَى اللَّهِ: بِاعْتِبَارِ كَوْنِهِ وَاصِعُهُ الَّذِي شَرَعَهُ.

▪ وَإِضَافَتُهُ إِلَى أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ: بِاعْتِبَارِ أَنَّهُ سَالِكُهُ الَّذِي أَخَذَ فِيهِ.

ذَكَرَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي «مَدَارِجِ السَّالِكِينَ».

ثُمَّ قَالَ: ﴿غَيْرِ﴾ صِرَاطِ ﴿الْمَعْصُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ الَّذِينَ عَرَفُوا الْحَقَّ وَلَمْ يَعْمَلُوا بِهِ،

وَهُمُ الْيَهُودُ، وَمَنْ عَدَلَ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَنِ عِلْمٍ فَفِيهِ شَبَهُ مِنْهُمْ،

﴿وَلَا﴾ صِرَاطِ ﴿الضَّالِّينَ﴾ الَّذِينَ تَرَكُوا الْحَقَّ عَنْ جَهْلِ... إِلَى آخِرِ كَلَامِهِ.

فَالْخَارِجُونَ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ نَوْعَانِ:

• أَحَدُهُمَا: الْعَارِفُونَ بِالْحَقِّ التَّارِكُونَ الْعَمَلَ بِهِ.

• وَالْآخَرُ: الْجَاهِلُونَ بِالْحَقِّ الْعَامِلُونَ دُونَ عِلْمٍ.

وَكُلُّ نَوْعٍ فِيهِ طَائِفَتَانِ:

فالنَّوعُ الْأَوَّلُ - وَهُمْ الْعَالِمُونَ التَّارِكُونَ لِلْعَمَلِ - فِيهِ طَائِفَتَانِ:

❖ الطَّائِفَةُ الْأُولَى: طَائِفَةٌ أُصْلِيَّةٌ؛ وَهُمْ الْيَهُودُ.

❖ وَالطَّائِفَةُ الثَّانِيَةُ: طَائِفَةٌ تَابِعَةٌ؛ وَهُمْ (مَنْ عَدَلَ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ مِنْ هَذِهِ

الْأُمَّةِ عَنْ عِلْمٍ).

وَالنَّوعُ الثَّانِي - وَهُمْ الْجَاهِلُونَ الْعَامِلُونَ دُونَ عِلْمٍ - فِيهِ طَائِفَتَانِ:

❖ فَالطَّائِفَةُ الْأُولَى: طَائِفَةٌ أُصْلِيَّةٌ؛ وَهُمْ النَّصَارَى.

❖ وَالطَّائِفَةُ الثَّانِيَةُ: طَائِفَةٌ تَابِعَةٌ؛ وَهُمْ (مَنْ عَدَلَ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ مِنْ هَذِهِ

الْأُمَّةِ عَنْ جَهْلٍ).

وَاسْتَحَقَّ أَهْلَ النَّوعِ الْأَوَّلِ الْغَضَبَ؛ فَسُمُّوا (الْمَغْضُوبَ عَلَيْهِمْ).

وَاسْتَحَقَّ أَهْلَ النَّوعِ الثَّانِيِ الضَّلَالَ؛ فَسُمُّوا (الضَّالِّينَ).

وَكُلُّ طَائِفَةٍ لَهَا حَظٌّ مِنْ وَصْفِ الْأُخْرَى، لَكِنْ مَا شَهَرَتْ بِهِ أَظْهَرُ فِيهَا:

✓ فَالْيَهُودُ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ ضَّالُّونَ، لَكِنَّ الْغَضَبَ فِيهِمْ أَظْهَرُ.

✓ وَالنَّصَارَى ضَّالُّونَ، وَهُمْ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِمْ، لَكِنَّ الضَّلَالَ فِيهِمْ أَظْهَرُ.

وَمَنْ كَانَ مِثْلَهُمْ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ فَهُوَ مُلْحَقٌ بِهِمْ، قَالَ سَفِيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ

ضَلَّ مِنْ عُلَمَائِنَا فَفِيهِ شَبَهُ مِنَ الْيَهُودِ، وَمَنْ ضَلَّ مِنْ عِبَادِنَا فَفِيهِ شَبَهُ مِنَ النَّصَارَى».

انْتَهَى كَلَامُهُ.

فَالْعَالِمُ الَّذِي لَا يَعْمَلُ بِالْحَقِّ شَبِيهُ بِالْيَهُودِ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ الْحَقَّ وَلَا يَعْمَلُونَ بِهِ،

وَالْعَابِدُ الَّذِي يَعْمَلُ بِمَا عَمِلَ فِيهِ شَبَهُ مِنَ النَّصَارَى الَّذِينَ يَجْهَلُونَ وَيَعْمَلُونَ دُونَ عِلْمٍ.



قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَقَّ الشُّرْهُ:

تَفْسِيرُ آيَةِ الْكُرْسِيِّ

عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ؛ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟»، قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ؛ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟»، قَالَ: قُلْتُ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي وَقَالَ: «وَاللَّهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ أَبِي أَمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ، لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ». رَوَاهُ النَّسَائِيُّ فِي «السُّنَنِ الْكُبْرَى»، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة].

هذه الآية البينة تُسَمَّى (آيَةَ الْكُرْسِيِّ) لِاخْتِصَاصِهَا بِذِكْرِهِ، وَهِيَ أَعْظَمُ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ؛ لِمَا حَوَتْهُ مِنْ خَبِيرٍ عَنِ عِظَمَةِ اللَّهِ وَعُلُوِّ قَدْرِهِ.

فَمَطَّلَعُهَا ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ مُبِينٌ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ الْأُلُوهِيَّةَ وَحْدَهُ؛ فَلَا إِلَهَ

حَقُّ إِلَّا هُوَ.

وَهُوَ عَزَّوَجَلَّ ﴿الْحَىُّ الْقَيُّومُ﴾: الْقَائِمُ بِنَفْسِهِ وَعَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، وَمِنْ تَمَامِ حَيَاتِهِ وَقَيُّومِيَّتِهِ أَنَّهُ ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾، وَالسَّنَةُ: النَّعَاسُ.

﴿لَهُ، مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، فَجَمِيعُ مَا فِيهِمَا مُلْكٌ لَهُ، وَلِكَمَالِ مُلْكِهِ امْتَنَعَ أَنْ يَشْفَعَ أَحَدٌ عِنْدَهُ قَبْلَ إِذْنِهِ؛ فَقَوْلُهُ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ استِفْهَامٌ اسْتِنكَارِيٌّ اسْتِبْعَادًا لِقُوعِهَا دُونَ إِذْنِ الشَّافِعِ؛ لِأَنَّ الشَّفَاعَةَ كُلَّهَا لِلَّهِ.

أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، وَعِلْمٌ غَيْرُهُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِفَضْلِهِ، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾، فَيَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِي الْخَلَائِقِ مِنَ الْأُمُورِ الْمُسْتَقْبَلَةِ، وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ الْأُمُورِ الْمَاضِيَةِ، وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَحْدَهُ، فَيُطَّلِعُ عَلَيْهِ مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ خَلْقِهِ.

وَمِنْ عَظَمَتِهِ أَنْ ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، وَالْكُرْسِيُّ: مَوْضِعُ قَدَمِي اللَّهِ، ﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾، أَي لَا يُثْقَلُهُ حِفْظُهُمَا، ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ عَلَىٰ جَمِيعِ مَخْلُوقَاتِهِ، وَمِنْ عُلُوِّ صِفَاتِهِ أَنَّهُ ﴿الْعَظِيمُ﴾ ذُو الْعَظَمَةِ الْكَامِلَةِ.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَّ اللَّهُ:

ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ - وَفَقَّهُ اللَّهُ - فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ (تَفْسِيرَ آيَةِ الْكُرْسِيِّ).

وَابْتَدَأَهُ بِذِكْرِ حَدِيثَيْنِ يَتَعَلَّقَانِ بِفَضْلِهَا؛ لِمَا تَقَدَّمَ أَنَّ النُّفُوسَ تَشْتَأِقُ إِلَى الشَّيْءِ وَتَتَشَوَّفُ إِلَيْهِ إِذَا ذُكِرَ فَضْلُهُ.

فَالْحَدِيثُ الْأَوَّلُ: حَدِيثُ (أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ...») الْحَدِيثُ. (رواه مسلم).

وَدِلَالَتُهُ عَلَى فَضْلِ آيَةِ الْكُرْسِيِّ: فِي قَوْلِهِ: («يَا أَبَا الْمُنْذِرِ؛ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟»، قَالَ: قُلْتُ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾؛ فَمِنْ فَضْلِ «آيَةِ الْكُرْسِيِّ» أَنَّهَا أَفْضَلُ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

وَبِضْمٍ هَذَا الْحَدِيثِ إِلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى؛ يُعْلَمُ:

✓ أَنْ أَعْظَمَ سُورَةٍ كَامِلَةٍ فِي الْقُرْآنِ هِيَ «الْفَاتِحَةُ».

✓ وَأَنَّ أَعْظَمَ آيَةٍ مُنْتَجَبَةٍ فِي الْقُرْآنِ هِيَ «آيَةُ الْكُرْسِيِّ».

وَالْحَدِيثُ الثَّانِي: حَدِيثُ (أَبِي أَمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ...») الْحَدِيثُ. (رواه النسائي في «السُّنَنِ الْكُبْرَى»، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ).

وَدِلَالَتُهُ عَلَى فَضْلِ آيَةِ الْكُرْسِيِّ: فِي قَوْلِهِ: («لَمْ يَمْنَعُهُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ»); فَمِنْ فَضْلِ آيَةِ الْكُرْسِيِّ أَنَّ الْمُلَازِمَ قِرَاءَتَهَا فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ لَمْ يَمْنَعُهُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ إِلَّا الْمَوْتُ، فَمُلَازِمَةُ آيَةِ الْكُرْسِيِّ عَلَى النَّحْوِ الْمَذْكُورِ مِنْ مُوجِبَاتِ دُخُولِ الْجَنَّةِ.

ثُمَّ ذَكَرَ تَفْسِيرَ هَذِهِ الْآيَةِ، وَابْتَدَأَ بِقَوْلِهِ: (هَذِهِ الْآيَةُ الْبَيِّنَةُ); اتِّبَاعًا لِوَصْفِ خِطَابِ الشَّرْعِ لَ (الْآيَةِ)، فَإِنَّ الْآيَةَ وَصِفَتْ فِي خِطَابِ الشَّرْعِ بِثَلَاثَةِ أَوْصَافٍ:

• أَحَدُهَا: بَيِّنَةٌ.

• وَثَانِيهَا: مُبَيِّنَةٌ.

• وَثَالِثُهَا: مُبَيِّنَةٌ.

وَلَمْ يَأْتِ قَطُّ فِي خِطَابِ الشَّرْعِ وَصْفُ الْآيَةِ بِ(الْكَرِيمَةِ)، لَكِنْ جَاءَ وَصْفُ (الْكَرَمِ) لِلْقُرْآنِ كُلِّهِ؛ لِأَنَّ (الْكَرَمَ) هُوَ السُّمُوُّ وَالْعُلُوُّ وَالرَّفْعَةُ، وَ(الْبَيَانَ) هُوَ الْوُضُوحُ وَالْجَلَاءُ، وَتَحَقُّقُ الْمَعْنَى الْأَوَّلِ يَكُونُ بِالْقُرْآنِ كُلِّهِ، وَتَحَقُّقُ الْمَعْنَى الثَّانِي يَكُونُ فِي كُلِّ آيَةٍ مِنْهُ، فَكُلُّ آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ هِيَ بَيِّنَةٌ جَلِيَّةٌ وَاضِحَةٌ، وَأَمَّا عُلُوُّ الْقُرْآنِ عَلَى غَيْرِهِ وَسُمُوُّهُ فِي نَظْمِ الْكَلَامِ قَوْلًا وَمَعْنَى فَهُوَ بِمَجْمُوعِهِ.

فَالْمُؤَافِقُ لِلخِطَابِ الشَّرْعِيِّ - وَفِيهِ الْمَعْنَى الْمَتَقَدِّمُ - أَنْ يَكُونَ وَصْفُ الْآيَةِ الْمُفْرَدَةِ مِنْهُ (الْبَيِّنَةُ).

وَوَصْفُهَا بِ(الْكَرِيمَةِ) جَائِزٌ، لَكِنَّ الْعُلُومَ الْكَامِلَةَ وَالْأَعْمَالَ الْفَاضِلَةَ هِيَ الْمُؤَافِقَةُ الْخَبَرَ الشَّرْعِيِّ، فَإِنَّهُ أَصَحُّ مِنْ خَبَرِ غَيْرِهِ.

ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ الْبَيِّنَةَ (تُسَمَّى (آيَةَ الْكُرْسِيِّ) لِاخْتِصَاصِهَا بِذِكْرِهِ؛ أَي لاختِصَاصِهَا بِذِكْرِ الْكُرْسِيِّ الْإِلَهِيِّ.

قَالَ: (وَهِيَ أَعْظَمُ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ؛ لِمَا حَوَتْهُ مِنْ خَبَرٍ عَنْ عَظَمَةِ اللَّهِ وَعُلُوِّ قَدْرِهِ)، فَخَبَرُهَا عَنْ عَظَمَةِ اللَّهِ كَسَاهَا عَظَمَةٌ؛ فَصَارَتْ بِذِكْرِ الْعَظِيمِ عَظِيمَةً.

ثُمَّ قَالَ: (فَمَطَّلَعُهَا ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ مُبَيِّنٌ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ الْأُلُوهِيَّةَ وَحْدَهُ؛ فَلَا إِلَهَ حَقٌّ إِلَّا هُوَ)، عَلَى مَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِلَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥].

ثُمَّ قَالَ: (وَهُوَ عَزَّجَلَّ ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾)، وَفَسَّرَ (الْقَيُّومَ) بِقَوْلِهِ: (الْقَائِمُ بِنَفْسِهِ وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ)؛ فَهُوَ الَّذِي قَامَ بِنَفْسِهِ فَلَمْ يَحْتَجْ إِلَى غَيْرِهِ، وَهُوَ الَّذِي لِكَمَالِ قَيُّومِيَّتِهِ قَامَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَمَصَالِحُ الْخَلْقِ كَافَّةً مَوْكُولَةٌ إِلَيْهِ.

ثُمَّ قَالَ: (وَمِنْ تَمَامِ حَيَاتِهِ وَقِيُومِيَّتِهِ أَنَّهُ ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾، وَالسَّنَةُ: **النُّعَاسُ**)، وَكَانَ ذِكْرُ أَحَدِهِمَا مُغْنِيًا عَنِ الْآخَرِ؛ فَلَوْ قِيلَ: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ﴾ - وَهِيَ النَّعَاسُ - وَلَمْ يُذَكَّرْ: ﴿وَلَا نَوْمٌ﴾، عَلِمَ نَفْيُ النَّوْمِ؛ لِأَنَّ السَّنَةَ مُقَدِّمَةُ النَّوْمِ، فَإِذَا نُفِيَتِ الْمُقَدِّمَةُ نُفِيَ مُتَهَايَا، وَلَوْ قَالَ: (لَا يَأْخُذُهُ نَوْمٌ) لَكَانَ كَافِيًا فِي نَفْيِ (السَّنَةِ)؛ لِأَنَّ السَّنَةَ فَرْدٌ مِنْ أَفْرَادِ النَّوْمِ، لَكِنْ قِيلَ فِي الْآيَةِ: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾، تَفْصِيلًا فِي النَّفْيِ، خِلَافَ قَاعِدَةِ خِطَابِ الشَّرْعِ قُرْآنًا وَسُنَّةً فِي نَفْيِ النَّقَائِصِ عَنِ اللَّهِ؛ فَإِنَّ طَرِيقَةَ الْخِطَابِ الشَّرْعِيِّ فِي الْكَمَالَاتِ إِثْبَاتًا: تَفْصِيلُهَا، وَفِي النَّقَائِصِ نَفْيًا: إِجْمَالُهَا.

وَوَقَعَ فِي الْقُرْآنِ فِي مَوَاضِعَ قَلِيلَةٍ تَفْصِيلُ النَّفْيِ عَلَى خِلَافِ الْقَاعِدَةِ، وَالنَّفْيُ الْمُفَصَّلُ الْوَاقِعُ خِلَافَ قَاعِدَةِ الشَّرْعِ لَهُ أَحَدُ ثَلَاثَةِ دَوَاعِي:

- **أَوَّلُهَا:** نَفْيُ تَوْهَمٍ مُتَوَقَّعٍ؛ بَأَنَّ يُتَوَقَّعَ وُرُودُ وَهَمٍ فِي الْأَفْهَامِ فَيُفَصَّلُ فِي النَّفْيِ.
- **وِثَانِيهَا:** نَفْيُ مَقَالَةٍ مُدَّعَاةٍ؛ فَيَدَّعِي الْكَافِرُونَ شَيْئًا فَيُفَصَّلُ فِي نَفْيِهِ تَبَعًا لِذَعْوَاهُمْ.
- **وِثَالِثُهَا:** تَأْكِيدُ إِثْبَاتِ الْكَمَالِ الْمُقَابِلِ لِلنَّقْصِ الْمَنْفِيِّ، وَمِنْهُ هَذِهِ الْآيَةُ، فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ فَصَّلَ فِي النَّفْيِ لِإِثْبَاتِ كَمَالِ الْحَيَاةِ وَالْقِيُومِيَّةِ.

وَقَاعِدَةُ الْمَقْصُودِ فِي النَّفْيِ: هُوَ إِثْبَاتُ الْكَمَالِ الْمُقَابِلِ؛ ذَكَرَهُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ الْحَفِيدُ، وَصَاحِبُهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ الْقَيْمِ، فِي آخَرِينَ.

فَالنَّفْيُ الْمُتَعَلِّقُ بِرَبَّنَا سُبْحَانَهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لَا يُرَادُ لِدَاتِهِ؛ لِأَنَّ النَّفْيَ الْمَحْضَ إِعْدَامٌ وَلَا كَمَالٌ فِيهِ، لَكِنْ يُرَادُ مُقَابِلُهُ مِنَ الْكَمَالِ أَنْ يُثْبِتَ اللَّهُ، فَإِذَا قِيلَ: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلْمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ ﴿٤٦﴾ [فَصَّلَتْ]، فَالْمُرَادُ إِثْبَاتُ الْكَمَالِ الْمُقَابِلِ وَهُوَ الْعَدْلُ.

وإذا فَصَّلَ فِي نَفْيٍ مَا: يَكُونُ تَارَةً مِنْ دَوَاعِيهِ تَأْكِيدُ الْكَمَالِ الْمُقَابِلِ، فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ لَا يَدُلُّ فَقَطْ عَلَى إِثْبَاتِ الْكَمَالِ الْمُقَابِلِ كَالآيَةِ السَّالِفَةِ: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فُصِّلَتْ]، لَكِنْ يَدُلُّ عَلَى تَأْكِيدِ إِثْبَاتِ الْكَمَالِ الْمُقَابِلِ، وَهُوَ حَيَاةُ اللَّهِ وَقِيُومِيَّتُهُ.

ثُمَّ قَالَ: (و﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، فَجَمِيعُ مَا فِيهِمَا مُلْكٌ لَهُ، وَلِكَمَالِ مُلْكِهِ امْتِنَعَ أَنْ يَشْفَعَ أَحَدٌ عِنْدَهُ قَبْلَ إِذْنِهِ؛ فَقَوْلُهُ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ استِنْفَهَامُ اسْتِنكَارِيٍّ؛ أَي عَلَى وَجْهِ انْكَارِ تِلْكَ الْمَقَالَةِ؛ أَنْ يَكُونَ أَحَدٌ يَشْفَعُ عِنْدَ اللَّهِ دُونَ إِذْنِهِ، قَالَ: (اسْتِبْعَادًا لِقُوعِهَا دُونَ إِذْنِ لِلشَّافِعِ)، فَلَا تَقَعُ شَفَاعَةٌ عِنْدَ اللَّهِ دُونَ إِذْنِهِ، وَعَلَّلَهُ بِقَوْلِهِ: (لَأَنَّ الشَّفَاعَةَ كُلَّهَا لِلَّهِ)، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]، وَإِذَا كَانَتْ الشَّفَاعَةُ كُلَّهَا لِلَّهِ فَإِنَّهُ لَا يَتَقَدَّمُ أَحَدٌ بَيْنَ يَدَيْهِ فِيهَا إِلَّا بِإِذْنِهِ سُبْحَانَهُ.

ثُمَّ قَالَ: (أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، وَعِلْمُ غَيْرِهِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِفَضْلِهِ)، فَعِلْمُ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ هُوَ مِنْ عِلْمِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَالْمَعْلُومَاتُ الْمُسْتَكِنَّةُ فِي قَلْبِ هَذَا أَوْ قَلْبِ ذَاكَ هِيَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ.

فَإِذَا أَخَذَ النَّاسُ بِعِلْمِ أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ، وَجَبَ فِي حَقِّ الْعَارِفِينَ بِاللَّهِ وَأَمْرِهِ أَنْ يَكُونَ عَجَبُهُمْ مِنْ عِلْمِهِ مِرْقَاةً تُعْجِبُهُمْ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ الَّذِي عِلْمُهُ وَإِيَّاهُمْ، فَإِنَّ الْعِلْمَ الَّذِي يُصِيبُهُ النَّاسُ لَا يَنَالُونَهُ بِقُوَّةِ أَفْهَامِهِمْ، وَلَا جَوْدَةِ أَذْهَانِهِمْ، وَلَا سَلَالَةِ أَنْسَابِهِمْ، وَلَا شَرَفِ أَحْسَابِهِمْ، وَلَا كَثْرَةِ أَمْوَالِهِمْ، وَلَا مَنَاصِبِهِمْ، وَلَا رِئَاسَاتِهِمْ؛ بَلْ هُوَ مَحْضُ فَضْلِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

وَقَدْ قَالَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا

﴿١١٣﴾ [النساء].

فَالْمَعَارِفُ وَالْعُلُومُ الَّتِي تَكُونُ عِنْدَ النَّاسِ هِيَ مُرْشِدَةٌ إِلَى عِلْمِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾، فَيَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِي الْخَلَائِقِ مِنَ الْأُمُورِ الْمُسْتَقْبَلَةِ؛ أَيَّ مَا يَكُونُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ فِي مُسْتَقْبَلِ الْأَيَّامِ، (وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ الْأُمُورِ الْمَاضِيَةِ) الَّتِي طَوَّوْهَا فِيمَا سَلَفَ مِنْ دَهْرِهِمْ، (وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَحَدَّهُ، فَيُطَّلَعُ عَلَيْهِ مِنْ ارْتِضَىٰ مِنْ خَلْقِهِ).

ثُمَّ قَالَ: (وَمِنْ عَظَمَتِهِ أَنْ ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾)؛ فَسَعَةُ كُرْسِيِّ اللَّهِ تَبْلُغُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، (وَالْكُرْسِيُّ: مَوْضِعُ قَدَمِي اللَّهِ).

صَحَّ هَذَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَأَبِي سَعِيدِ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَانْعَقَدَ عَلَيْهِ الْإِجْمَاعُ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَلَا يُؤْودُهُ حِفْظُهُمَا﴾؛ أَيَّ لَا يُثْقَلُهُ حِفْظُهُمَا؛ فَلَا يَلْقَى اللَّهُ ثِقَلًا وَلَا اكْتِرَاتًا بِحِفْظِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

وَتَفْسِيرُ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا يُؤْودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ (بِقَوْلِهِ: (لَا يُثْقَلُهُ حِفْظُهُمَا)؛ ثَبَتَ هَذَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَصَاحِبِهِ مُجَاهِدٍ أَنَّهُمَا قَالَا: «لَا يُثْقَلُهُ وَلَا يُكْرِثُهُ»؛ أَيَّ لَا يُشْغَلُهُ اهْتِمَامًا.

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ عَلَىٰ جَمِيعِ مَخْلُوقَاتِهِ، فَ(الْعَلِيُّ) مِنْ أَسْمَائِهِ، وَ(الْعُلُوُّ) مِنْ صِفَاتِهِ.

وَعُلُوُّ اللَّهِ سُبْحَانَهُ نَوْعَانِ:

- أَحَدُهُمَا: عُلُوُّ الذَّاتِ؛ وَهُوَ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ خَلْقِهِ بَائِنٌ مِنْهُمْ.
- وَالْآخَرُ: عُلُوُّ الصِّفَاتِ؛ فَلَهُ سُبْحَانَهُ ﴿الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: ٦٠]، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:
«الْوَصْفُ الْأَعْلَى»، وَاخْتَارَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ابْنَ الْقَيْمِ.

وَأَمَّا عُلُوُّ الْقَهْرِ الَّذِي يَذْكُرُهُ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ فَإِنَّهُ يَرْجِعُ إِلَى عُلُوِّ الصِّفَاتِ.

فَلِأَهْلِ السُّنَّةِ فِي قِسْمَةِ (الْعُلُوِّ) طَرِيقَتَانِ:

- إِحْدَاهُمَا: أَنَّ الْعُلُوَّ ثَلَاثَةٌ أَنْوَاعٍ؛ هِيَ: عُلُوُّ الذَّاتِ، وَعُلُوُّ الصِّفَاتِ، وَعُلُوُّ الْقَهْرِ.
- وَالْآخَرَى: أَنَّ الْعُلُوَّ نَوْعَانِ؛ هُمَا: عُلُوُّ الذَّاتِ، وَعُلُوُّ الصِّفَاتِ.

وَالطَّرِيقَةُ الثَّانِيَةُ أَصَحُّ مَأْخِذًا، وَأَقْوَى مُدْرَكًا؛ فَإِنَّ (الْقَهْرَ) فَرَدُّ مِنْ أَفْرَادِ الصِّفَاتِ، فَقَوْلُنَا: (عُلُوُّ الصِّفَاتِ) يَنْدَرُجُ فِيهِ عُلُوُّ الْقَهْرِ، وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ، مِنْهُمْ الْعَلَّامَةُ إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ وَثَلَاثِمِائَةَ وَأَلْفٍ.

وَإِلَى ذَلِكَ أَشْرْتُ بِقَوْلِي:

عُلُوُّ رَبِّنَا لَدَى الثَّقَاتِ عُلُوُّ ذَاتِهِ مَعَ الصِّفَاتِ
أَمَّا عُلُوُّ قَهْرِهِ فَارْدُوا لِسَابِقٍ إِذْ مِنْهُ يُسْتَمَدُّ

وَالسَّابِقُ هُوَ عُلُوُّ الصِّفَاتِ، فَهُوَ مُسْتَمَدٌّ مِنْهُ.



قال المصنف وفق الشئ:

تفسير الآيتين من آخر سورة البقرة

عَنْ أَبِي مَسْعُودِ الْبَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مَنْ قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَّتَاهُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ - وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ.

﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ [البقرة].

خَتَمَ اللَّهُ سُورَةَ الْبَقَرَةِ بِالْخَبَرِ عَنْ إِيْمَانِ الرَّسُولِ وَالْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ مِنَ الْوَحْيِ، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ هُمْ أَيْضًا بِهِ مُؤْمِنُونَ: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾، وَقَالُوا مُعْلِنِينَ إِيْمَانَهُمْ بِالرُّسُلِ كَافَّةً: ﴿لَا نُفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾، فَهُمْ بَرَاءٌ مِنَ الْإِيْمَانِ بِبَعْضٍ وَالْكَفْرِ بِبَعْضٍ، ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ قَبُولًا وَإِنْقِيَادًا، وَقَالُوا: ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾، فَسَأَلُوا اللَّهَ مَغْفِرَتَهُ فِي طَاعَةٍ ضَيَعُوهَا، وَمَعْصِيَةٍ فَعَلُوهَا، وَأَقْرَبُوا أَنْ مَرَدَّ جَمِيعِ الْخَلَائِقِ إِلَى اللَّهِ؛ لِيَجْزِيَهُمْ بِمَا عَمِلُوا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ.

ثُمَّ أَخْبَرَ اللَّهُ عَمَّا يُعَامَلُ بِهِ الْخَلْقَ فَقَالَ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾؛ أَيَّ لَا يُعَلِّقُ بِهَا إِلَّا مَا فِي قُدْرَتِهَا، ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّ كُلَّ نَفْسٍ ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ مِنَ الْخَيْرِ، ﴿وَعَلَيْهَا مَا أَكْتَسَبَتْ﴾ مِنَ الشَّرِّ.

وَكَانَ عَظَمَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تُبَدُّوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، وَظَنُّوا أَنَّ الْعَبْدَ مُؤَاخِذٌ بِكُلِّ مَا يَقَعُ فِي قَلْبِهِ، فَأَخْبَرُوا فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ اللَّهَ لَا يُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا، وَهُوَ طَاقَتُهَا، فَلَا يُعَلِّقُ بِذِمَّةِ الْعَبْدِ خَبْرًا أَوْ طَلَبًا إِلَّا مَا يَسْتَطِيعُهُ.

وَجَعَلَ آخِرَهَا دُعَاءَ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾؛ لِأَنَّهُ أَخْبَرَ عَنِ إِيمَانِ الرُّسُولِ وَالْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّ كُلَّ عَامِلٍ سَيَجَازِي بِعَمَلِهِ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَا يُكَلِّفُهُمْ إِلَّا مَا فِي وُسْعِهِمْ وَقُدْرَتِهِمْ، وَالوَاحِدُ مِنْهُمْ عُرْضَةٌ لِلنَّسْيَانِ وَالْخَطَا، فَنَاسَبَهُ دُعَاءُ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا ذَكَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وَقَدْ تَفَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَأَجَابَ دُعَاءَهُمْ فِيمَا سَأَلُوهُ فِي قَوْلِهِمْ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾؛ فَقَالَ: قَدْ فَعَلْتُ، وَأَجَابَ دُعَاءَهُمْ فِيمَا سَأَلُوهُ فِي قَوْلِهِمْ: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾؛ فَقَالَ: قَدْ فَعَلْتُ، وَأَجَابَ دُعَاءَهُمْ فِيمَا سَأَلُوهُ فِي قَوْلِهِمْ: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾؛ فَلَا نَسْتَطِيعُهُ، ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾؛ فَقَالَ: قَدْ فَعَلْتُ.

فَلَا يُؤَاخِذُونَ فِي النَّسيَانِ وَالخَطَأِ، وَالنَّسيَانُ: ذُهُولُ القَلْبِ عَن شَيْءٍ يَعْلَمُهُ، وَالخَطَأُ: وَقُوعُ الأَمْرِ عَلَى وَجْهِ لَمْ يَقْصِدْهُ فَاعِلُهُ، وَلَا يَحْمِلُ اللهُ عَلَيْهِمْ إِصْرًا - أَي مَشَقَّةً وَحَرَجًا - كَمَا حَمَلَهُ عَلَى الأُمَّمِ المُتَقَدِّمَةِ عَلَيْهِمْ، وَسَيَرَفَعُ عَنْهُمْ ثِقَلَ أَوْزَارِهِمْ بِالْعَفْوِ وَالْمَغْفِرَةِ، وَيُسَبِّغُ عَلَيْهِمْ وَاسِعَ فَضْلِهِ بِالْمَرْحَمَةِ.

ثُمَّ تَمَّمُوا دُعَاءَهُمْ بِقَوْلِهِمْ: ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا﴾؛ أَي المُتَصَرِّفُ فِينَا بِمَا يَنْفَعُنَا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، ﴿فَانصُرْنَا عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ﴾.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا؛ أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، قَالَ: دَخَلَ قُلُوبَهُمْ مِنْهُ شَيْءٌ لَمْ يَدْخُلْ مِنْ شَيْءٍ، فَقَالُوا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «قُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا»، فَأَلْقَى اللهُ الإِيمَانَ فِي قُلُوبِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿ءَامَنَ الرُّسُولُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ، وَالْمُؤْمِنُونَ...﴾ الآيَةُ، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾، قَالَ: «قَدْ فَعَلْتُ»، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾، قَالَ: «قَدْ فَعَلْتُ»، ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ، وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا...﴾ الآيَةُ، قَالَ: «قَدْ فَعَلْتُ». رواه مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ - وَاللَّفْظُ لَهُ.



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ذَكَرَ المَصْنُفُ - وَفَّقَهُ اللهُ - فِي هَذِهِ الجُمْلَةِ (تَفْسِيرَ الآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ).

وَاسْتَفْتَحَ بَيَانَهُ بِذِكْرِ حَدِيثٍ فِي فَضْلِهِمَا، وَهُوَ حَدِيثُ (أَبِي مَسْعُودِ البَدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛

أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الآيَاتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مَنْ قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَّتَاهُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

وَدِلَالَتُهُ عَلَى فَضْلِ «الآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ»: فِي قَوْلِهِ: («مَنْ قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَّتَاهُ»); فَكَفَايَةُ اللَّيْلِ تَكُونُ بَقْرَاءَةَ آيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ.

وَحُذِفَ مُتَعَلِّقُ الْكِفَايَةِ؛ لِيَعْمَ، فَلَمْ يَأْتِ فِي الْحَدِيثِ: «كَفَّتَاهُ قِيَامَ اللَّيْلِ»، أَوْ «كَفَّتَاهُ ذَكَرَ اللَّهِ»، أَوْ «كَفَّتَاهُ الشَّرَّ»؛ لِيَعْمَ كُلَّ مَوْرِدٍ لِلْكَفَايَةِ؛ وَهَذَا أَصَحُّ الْأَقْوَالِ فِي مُتَعَلِّقِ الْكِفَايَةِ فِي الْحَدِيثِ.

وَهَاتَانِ الْآيَاتَانِ يَحْصُلُ الْفَضْلُ الْمَذْكُورُ لَهُمَا بِقِرَاءَتِهِمَا دُونَ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ وُجُوهِ الِاعْتِنَاءِ بِهِمَا، فَلَوْ قُدِّرَ أَنَّهُ كَتَبَهُمَا أَوْ أَنَّهُ فَسَّرَهُمَا دُونَ قِرَاءَةِ الْآيَتَيْنِ فَلَا يَحْصُلُ لَهُ الْفَضْلُ، فَشَرَطُ الْفَضْلِ: الْقِرَاءَةُ.

وَوَقْتُهُ: أَنْ يَكُونَ فِي اللَّيْلَةِ، وَاللَّيْلَةُ: اسْمٌ لِمَا يَكُونُ بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ حَتَّى تَطْلُوعِ الْفَجْرِ الثَّانِي، فَإِذَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ اسْتُحِبَّتِ الْمُبَادَرَةُ بِقِرَاءَتِهِمَا، فَإِنْ أَخَّرَهُمَا إِلَى أَيِّ وَقْتٍ مِنَ اللَّيْلِ فَهُوَ مَحَلٌّ لِقِرَاءَتِهِمَا، لَكِنَّ الْأَكْمَلَ هُوَ تَقْدِيمُ طَلَبِ الْكِفَايَةِ بِالْمُبَادَرَةِ إِلَى قِرَاءَتِهِمَا بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ.

ثُمَّ ذَكَرَ تَفْسِيرَ الْآيَتَيْنِ، فَقَالَ: (خَتَمَ اللَّهُ سُورَةَ الْبَقَرَةِ بِالْخَبْرِ عَنِ إِيْمَانِ الرَّسُولِ وَالْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾)، وَالْمُنزَلُ إِلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ (الْوَحْيُ) مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [النساء: ١١٣]، وَسُنَّتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُسَمَّى (حِكْمَةً)، وَهِيَ وَالْقُرْآنُ وَحْيٌ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي (الْقُرْآنِ): ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]،

وقال في (السُّنَّةِ): ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم].

ثم قال: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ هم أيضاً به مؤمنون؛ أي هم مؤمنون بما أنزل الله من الوحي، ﴿ كُلُّ ءَامِنٍ بِاللَّهِ وَمَلَيْكِيهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾، وقالوا مُعَلِّينَ إِيْمَانَهُمْ بِالرُّسُلِ كَافَّةً: ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾، فهم براءٌ مِنَ الْإِيْمَانِ بِبَعْضِ الْكُفْرِ بِبَعْضِ، فإنها طريقة أهل الكتاب، الذين يؤمنون بمن يؤمنون به من الرُّسُلِ ويكذبون غيرهم، وأما أهل الإسلام فإنهم يؤمنون بالرُّسُلِ جميعاً.

ثم قال: ﴿ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ قَبُولًا وَانْقِيَادًا؛ فَـ (السَّمْعُ) هو القبول، و(الطَّاعَةُ) هي الانقياد.

والفرق بين (القبول) و(الانقياد) من ثلاثة وجوه:

- أولها: أن القبول يتعلق بالظاهر، والانقياد يتعلق بالباطن.
- وثانيها: أن القبول يُطلب عند مباشرة الخطاب بالأمر، والانقياد يكون بعده امتثالاً.
- وثالثها: أن القبول قد يبقى معه منازعة في القلب، أما الانقياد فلا يبقى في القلب منازعة للأمر.

ثم قال: ﴿ وَقَالُوا: ﴾ عُمْرَانُكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿، فسألوا الله مغفرته في طاعة ضيعوها، ومعصية فعلوها؛ فالمغفرة التي تُطلب من الله لها موردان:

- أحدهما: تضييع الطاعات.
- والآخر: فعل المعاصي والسيئات.

فَتَضِيْعُ الطَّاعَةِ ذَنْبٌ، وَمُوَاقَعَةُ الْمَعَاصِي وَالسَّيِّئَاتِ ذَنْبٌ، وَسُؤَالُ اللَّهِ الْمَغْفِرَةَ يَكُونُ فِي هَذَا وَهَذَا.

ثُمَّ قَالَ: (وَأَقْرَأُوا أَنْ مَرَدَّ جَمِيعِ الْخَلَائِقِ إِلَى اللَّهِ)؛ لِقَوْلِهِ: ﴿وَالْيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، فَالْمَصِيرُ هُوَ الْمَرْجِعُ وَالْمَالُ، وَرَدُّهُمْ إِلَى اللَّهِ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: (لِيَجْزِيَهُمْ بِمَا عَمِلُوا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ).

قَالَ: (ثُمَّ أَخْبَرَ اللَّهُ عَمَّا يُعَامِلُ بِهِ الْخَلْقَ فَقَالَ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾؛ أَيُّ لَا يُعَلِّقُ بِهَا إِلَّا مَا فِي قُدْرَتِهَا)؛ فَالتَّكْلِيفُ هُوَ التَّعْلِيقُ فِي الذِّمَّةِ، وَمِنْهُ سُمِّيَ مَا يَكُونُ عَلَى الْوَجْهِ (كَلْفًا)؛ لِتَعْلُقِهِ.

وَتَفْسِيرُ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ (التَّكْلِيفَ: إِلْزَامٌ مَا فِيهِ مَشَقَّةٌ)، مِنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ بِالْمُصْطَلَحِ الْحَادِثِ، وَلَا تَعْرِفُ الْعَرَبُ هَذَا الْمَعْنَى فِي لِسَانِهَا، وَلَا يُوَافِقُ خِطَابَ الشَّرْعِ أَبَدًا، فَإِنَّ الْأَمْرَ الْإِلَهِيَّ لَيْسَتْ تَكَالِيفَ؛ بَلْ هِيَ نُورٌ وَهِدَايَةٌ وَانْشِرَاحٌ؛ ذَكَرَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ، وَصَاحِبُهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ الْقَيِّمِ، وَلَبَسَ طَهْ مَقَامٌ آخَرٌ.

وَالْمَقْصُودُ: أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ ذِكْرَ (التَّكْلِيفِ) الْوَارِدِ فِي خِطَابِ الشَّرْعِ يُرَادُ بِهِ: مَا يُعَلَّقُ بِالذِّمَّةِ؛ فَلَا يُعَلَّقُ اللَّهُ بِذِمَّةِ أَحَدٍ إِلَّا مَا فِي قُدْرَتِهِ.

(ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّ كُلَّ نَفْسٍ ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ مِنَ الْخَيْرِ، ﴿وَعَلَيْهَا مَا آكَسَبَتْ﴾ مِنَ الشَّرِّ)؛ فَجَمَاعُ عَمَلِ الْعَبْدِ نَوْعَانِ: أَحَدُهُمَا: الْخَيْرُ. وَالْآخَرُ: الشَّرُّ.

وَأَشِيرَ إِلَى الْخَيْرِ بِ(الْكُسْبِ)، وَإِلَى الشَّرِّ بِ(الْاِكْتِسَابِ)، وَأَصْلُ مَا دَتِيهَمَا وَاحِدَةٌ،

وَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا فِي الْمَصْدَرِ مَعَ اتِّحَادِ مَادَّتَيْهِمَا؛ لِأَنَّ الْخَيْرَ مُيَسَّرٌ لِلْعَبْدِ يُعَانُ عَلَيْهِ، وَأَمَّا الشَّرُّ فَمُفْتَقِرٌ إِلَى مُعَاوَاةٍ وَصِنَاعَةٍ، فَتَحَمَّلُ فِيهِ النَّفْسُ خِلَافَ مَا فُطِرَتْ عَلَيْهِ، فَيَكُونُ تَوَجُّهَهَا إِلَيْهِ مَعَ مُنَافَرَةٍ فِي الْأَصْلِ لِمَا فُطِرَتْ عَلَيْهِ.

ثُمَّ قَالَ: (وَكَانَ عَظَمَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تَخَفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، وَظَنُّوا أَنَّ الْعَبْدَ مُؤَاخَذٌ بِكُلِّ مَا يَقَعُ فِي قَلْبِهِ؛ لِأَنَّ مَا يُبْدِيهِ الْعَبْدُ مِنَ الْأَمْرِ الْمُعْلَنِ لَهُ فِيهِ اخْتِيَارٌ، وَأَمَّا مَا يُخْفِيهِ - وَهُوَ مَا يَجِدُهُ فِي قَلْبِهِ - فَتَارَةٌ يَكُونُ لَهُ فِيهِ اخْتِيَارٌ، وَتَارَةٌ يَهْجُمُ عَلَيْهِ هُجُومًا؛ كَأَنْوَاعِ الْوَارِدَاتِ الْقَلْبِيَّةِ مِنَ الرَّيْبِ، أَوْ الشُّكِّ، أَوْ غَيْرِهَا.

قَالَ: (فَأخْبِرُوا فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ اللَّهَ لَا يُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا، وَهُوَ طَاقَتُهَا، فَلَا يُعَلِّقُ بِذِمَّةِ الْعَبْدِ خَبْرًا أَوْ طَلَبًا إِلَّا مَا يَسْتَطِيعُهُ).

ثُمَّ قَالَ: (وَجَعَلَ آخِرَهَا دَعَاءَ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾) الْآيَةَ، وَعَلَّلَهُ بِقَوْلِهِ: (لِإِنَّهُ أَخْبَرَ عَنِ إِيْمَانِ الرَّسُولِ وَالْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّ كُلَّ عَامِلٍ سَيُجَازَى بِعَمَلِهِ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَا يُكَلِّفُهُمْ إِلَّا مَا فِي وُسْعِهِمْ وَقُدْرَتِهِمْ، وَالْوَاحِدُ مِنْهُمْ عُرْضَةٌ لِلنَّسْيَانِ وَالْخَطَايَا، فَنَاسَبَهُ دَعَاءُ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا ذَكَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ)؛ أَي تَخَوَّفُوا مَا تَخَوَّفُوهُ مِمَّا يَلْحَقُهُمْ بِغَائِلَتِهِ، فَدَعَوْا اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْعَفْوَ عَمَّا لَا قُدْرَةَ لَهُمْ فِيهِ، فَعَفَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْهُمْ، كَمَا قَالَ: (وَقَدْ تَفَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَأَجَابَ دُعَاءَهُمْ فِيمَا سَأَلُوهُ فِي قَوْلِهِمْ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾؛ فَقَالَ: قَدْ فَعَلْتُ، وَأَجَابَ دُعَاءَهُمْ فِيمَا سَأَلُوهُ فِي قَوْلِهِمْ: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾؛ فَقَالَ: قَدْ فَعَلْتُ، وَأَجَابَ دُعَاءَهُمْ فِيمَا سَأَلُوهُ فِي قَوْلِهِمْ: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا

طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۞ فَلَا نَسْتَطِيعُهُ، ۞ وَأَعْفُ عَنَّا وَأَغْفِرْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا ۞؛ فَقَالَ: قَدْ فَعَلْتُ).

وَرَفَعُ مُؤَاخَذَتِهِم بِالْمَذْكُورَاتِ وَإِجَابَةُ دُعَائِهِمْ فِيهَا: شَاهِدُهُ (ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) الَّذِي ذَكَرَهُ الْمُصَنِّفُ فِي آخِرِ تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ، وَهُوَ عِنْدَ (مُسْلِمٍ وَالتِّرْمِذِيِّ، وَاللَّفْظُ لِلتِّرْمِذِيِّ).

ثُمَّ قَالَ: (فَلَا يُؤَاخِذُونَ فِي النَّسِيَانِ وَالخَطِيءِ)، وَبَيَّنَ حَقِيقَةَ كُلِّ فَقَالَ: (وَالنَّسِيَانُ: ذُهُولُ الْقَلْبِ عَنْ شَيْءٍ يَعْلَمُهُ)؛ أَي عَنْ شَيْءٍ كَانَ مُتَقَرَّرًا فِي الْقَلْبِ، ثُمَّ طَرَأَ عَلَيْهِ مَا ذَهَلَ بِهِ عَنْهُ فَصَارَ نَاسِيًا لَهُ، وَفَسَّرَ (الْخَطَأَ) بِقَوْلِهِ: (وُقُوعُ الْأَمْرِ عَلَى وَجْهِ لَمْ يَقْصِدْهُ فَاعِلُهُ).

قَالَ: (وَلَا يَحْمِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ إِصْرًا - أَي مَشَقَّةً وَحَرَجًا - كَمَا حَمَلَهُ عَلَى الْأُمَّمِ الْمُتَقَدِّمَةِ عَلَيْهِمْ، وَسَيَرَفَعُ عَنْهُمْ ثِقَلَ أَوْزَارِهِمْ بِالْعَفْوِ وَالْمَغْفِرَةِ، وَيُسْبِغُ عَلَيْهِمْ وَاسِعَ فَضْلِهِ بِالْمَرْحَمَةِ).

ثُمَّ تَمَمُّوا دُعَاءَهُمْ بِقَوْلِهِمْ: ۞ أَنْتَ مَوْلَانَا ۞؛ أَي الْمُتَصَرِّفُ فِينَا بِمَا يَنْفَعُنَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الْمَوْلَى وَهُوَ الْوَلِيُّ.

وَوَلَايَةُ اللَّهِ الْخَلْقَ وَتَوَلِّيهِمْ نَوْعَانِ:

- أَحَدُهُمَا: وَوَلَايَةُ عَامَّةٌ؛ بِالتَّصَرُّفِ فِيهِمْ، وَهِيَ لِلْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ.
- وَالْآخَرُ: وَوَلَايَةُ خَاصَّةٌ؛ بِالتَّصَرُّفِ بِمَا يَنْفَعُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهِيَ خَاصَّةٌ بِالْمُؤْمِنِينَ.



قال المصنف وفق الشريعة:

تفسير سورة الكافرون

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿قُلْ يَتَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾
وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾﴾
[الكافرون].

أمر الله رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ أَنْ يُبَلِّغَ الْكَافِرِينَ أَمْرًا عَظِيمًا؛ فَقَالَ:
﴿قُلْ يَتَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ الْبَاقُونَ عَلَيَّ كُفْرُكُمْ: ﴿٢﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٣﴾﴾ مِنْ
الْإِلَهَةِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، كَمَا أَنِّي لَا أَعْبُدُهَا الْآنَ.

ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْ حَالِهِمْ فَقَالَ: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾﴾، وَهُوَ اللَّهُ الْمُسْتَحَقُّ
وَحْدَهُ لِلْعِبَادَةِ، فِعْبَادَتِكُمْ إِيَّاهُ وَأَنْتُمْ تُشْرِكُونَ بِهِ لَا تَسْمَى عِبَادَةً، ثُمَّ كَرَّرَ بَرَاءَتَهُ مِنْ
آلِهَتِهِمْ فَقَالَ: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾﴾؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الثَّبَاتِ، وَتَأْيِيسِهِمْ مِنْ عِبَادَتِهِ
لَهَا، وَأَخْبَرَ عَنْ تَحَقُّقِ تَكْذِيبِهِمْ فَقَالَ: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾﴾؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى
أَنَّ ذَلِكَ صَارَ وَصْفًا لَزِمًا لَهُمْ: أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ.

فَلِكُلِّ دِينِهِ الَّذِي رَضِيَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾﴾؛ أَيَّ لَكُمْ دِينُكُمْ
الَّذِي رَضِيْتُمُوهُ وَهُوَ الشِّرْكَ، وَلِيَ دِينِي الَّذِي رَضِيَهُ لِي رَبِّي وَهُوَ الْإِسْلَامُ.



قَالَ الشَّارِحُ وَقَفَّ السُّنَّةُ:

ذَكَرَ الْمَصْنُفُ - وَفَقَّهُ اللهُ - فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ (تَفْسِيرِ سُورَةِ الْكَافِرُونَ).

وَابْتَدَأَ بَيَانَهُ بِقَوْلِهِ: (أَمَرَ اللهُ رَسُولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ أَنْ يُبَلِّغَ الْكَافِرِينَ

أَمْرًا عَظِيمًا؛ فَقَالَ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾﴾ الْبَاقُونَ عَلَيَّ كُفْرِكُمْ؛ فَمُخَاطَبَتُهُمْ

بِاسْمِ (الْكَافِرِينَ) دَلَّ عَلَى ثُبُوتِ الْكُفْرِ فِيهِمْ حَتَّى صَارَ وَصْفًا لَازِمًا لَهُمْ.

وَأَمَرَ أَنْ يَقُولَ: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾﴾ مِنَ الْآلِهَةِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، كَمَا أَنِّي لَا

أَعْبُدُهَا الْآنَ؛ فَبِرَاءَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَعْبُودَاتِهِمْ وَقَعَتْ مِنْ جِهَتَيْنِ:

• إِحْدَاهُمَا: الْجِهَةُ الْحَاضِرَةُ؛ فَهُوَ لَا يُوَافِقُهُمْ فِي عِبَادَةِ مَعْبُودَاتِهِمْ الْآنَ.

• وَالْأُخْرَى: الْجِهَةُ الْمُسْتَقْبَلَةُ؛ فَهُوَ لَنْ يُوَافِقَهُمْ فِي عِبَادَتِهِمْ آلِهَتَهُمْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُ مِنْ

الْأَيَّامِ.

قَالَ: (ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْ حَالِهِمْ فَقَالَ: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾﴾، وَهُوَ اللهُ

الْمُسْتَحَقُّ وَحْدَهُ لِلْعِبَادَةِ، فَعِبَادَتُكُمْ إِيَّاهُ وَأَنْتُمْ تُشْرِكُونَ بِهِ لَا تَسْمَى عِبَادَةً؛ فَمَا هُمْ

عَلَيْهِ مِنْ دَعْوَاهُمْ عِبَادَةَ اللهِ مَعَ مَا يَجْعَلُونَ لغيرِهِ مِنْ ذَبْحٍ، أَوْ نَذْرٍ، أَوْ دُعَاءٍ، أَوْ اسْتِغَاثَةٍ =

دَعْوَى كَاذِبَةٍ، فَإِنَّ الْعَبْدَ لَا يَصْدُقُ فِي كَوْنِهِ عَابِدًا لِلَّهِ حَتَّى يُخْلِصَ الْعِبَادَةَ لَهُ وَحْدَهُ.

قَالَ: (ثُمَّ كَرَّرَ بِرَاءَتَهُ مِنْ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾﴾؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى

الثَّبَاتِ، وَتَأْيِيسِهِمْ مِنْ عِبَادَتِهِ لَهَا؛ فَهُوَ ثَابِتٌ عَلَى تَوْحِيدِ مَعْبُودِهِ، لَنْ يَعْبُدَ مَعَهُ غَيْرَهُ،

وَهَذَا الثَّبَاتُ يُورِثُ نُفُوسَ أَوْلِيَاءِكَ الْيَأْسَ مِنْ مُوَافَقَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِيَّاهُمْ.

قَالَ: (وَأَخْبَرَ عَنْ تَحَقُّقِ تَكْذِيبِهِمْ فَقَالَ: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾﴾؛ لِلدَّلَالَةِ

عَلَى أَنَّ ذَلِكَ صَارَ وَصْفًا لَازِمًا لَهُمْ: أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ؛ فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ

مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ خَبِرَ عَنْ حَالِهِمْ أَنَّهُمْ لَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ عَزَّجَلَّ، فَهُمْ بَاقُونَ فِي حَمَاةِ الْكُفْرِ.

قَالَ: (فَلِكُلِّ دِينِهِ الَّذِي رَضِيَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿٦﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾؛ أَي لَكُمْ دِينُكُمْ الَّذِي رَضَيْتُمُوهُ وَهُوَ الشِّرْكَ، وَلِيَ دِينِي الَّذِي رَضِيَهُ لِي رَبِّي وَهُوَ الْإِسْلَامُ).

فَدِينُ الْمُشْرِكِينَ وَدِينُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْتَرِقَانِ - وَفَقَّ الْمَذْكَورِ فِي هَذِهِ

الآية -:

- مِنْ أَنَّ دِينَ الْمُشْرِكِينَ رَضِيَهُ أَوْلَيْكَ الْمُشْرِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ فَلَمْ يَرْضَهُ اللَّهُ لَهُمْ.
- وَأَمَّا دِينُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ دِينُ رَضِيَهُ اللَّهُ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَوَقَعَ التَّصْرِيحُ بـ (يَاءِ الْإِضَافَةِ) فِي قِرَاءَةِ يَعْقُوبَ: ﴿٦﴾ وَلِيَ دِينِي ﴿٦﴾.



قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَقَّ الشُّرْهُ:

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْإِخْلَاصِ

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَيُعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»، قَالُوا: وَكَيْفَ يَقْرَأُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟ قَالَ: «﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ الْمَشْرِكِينَ قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: انْسُبْ لَنَا رَبَّكَ؟، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ، وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ، كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص].

لَمَّا كَانَ الدِّينُ مَبْنِيًّا عَلَى الْإِخْلَاصِ؛ أَخْلَصَ اللَّهُ هَذِهِ السُّورَةَ لِنَفْسِهِ، أَمْرًا رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُبَلِّغَ عَنْهُ فَقَالَ لَهُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾؛ أَيُّ قُلْ أَيُّهَا الرَّسُولُ مَبْلَغًا: إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْأَحَدُ الْمُنْفَرِدُ بِالْكَمَالِ، الْمُنْفَرِدُ بِالْأُلُوْهِيَّةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ وَالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، فَلَا يُشَارِكُهُ أَحَدٌ فِيهَا.

وَأَنَّهُ هُوَ ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾؛ أَيُّ السَّيِّدِ الْكَامِلِ الْمَقْصُودِ فِي قَضَاءِ الْحَوَائِجِ، فَالْخَلْقُ مُفْتَقِرُونَ إِلَيْهِ، وَهُوَ مُسْتَعْنٍ عَنْهُمْ، وَمِنْ كَمَالِهِ ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾﴾،

فَلَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَا وَالِدٌ، ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾، ﴿ فَلَا يُكَافِئُهُ أَحَدٌ فِي ذَاتِهِ، وَلَا فِي أَسْمَائِهِ، وَلَا فِي صِفَاتِهِ، وَلَا فِي أَعْمَالِهِ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى.﴾



قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَّهُ السُّنَّةِ:

ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ - وَفَقَّهُ اللَّهِ - فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ (تَفْسِيرَ سُورَةِ الْإِخْلَاصِ).

وَابْتَدَأَ تَفْسِيرَهُ بِذِكْرِ مَا يَتَعَلَّقُ بِفَضْلِهَا وَفَقَّ مَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ، فَذَكَرَ حَدِيثَيْنِ:

فَالْحَدِيثُ الْأَوَّلُ: (عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَيُعْجِزُ

أَحَدُكُمْ...»). الْحَدِيثُ.

وَدِلَالَتُهُ عَلَى فَضْلِ «سُورَةِ الْإِخْلَاصِ»: فِي قَوْلِهِ: (﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾) ﴿ تَعْدِلُ

ثُلُثَ الْقُرْآنِ ﴾).

وَأَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي بَيَانِ التَّثْلِيثِ: أَنَّ الْقُرْآنَ ثَلَاثَةٌ أَثْلَاثٍ:

- أَحَدُهَا: الْخَبْرُ عَنِ اللَّهِ.
- وَثَانِيهَا: الْخَبْرُ عَمَّا يَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ مِنَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ.
- وَثَالِثُهَا: الْخَبْرُ عَنِ الْجَزَاءِ أَجْرًا وَعِقَابًا.

وَهَذِهِ السُّورَةُ فِي الْقِسْمِ الْأَوَّلِ؛ فَهِيَ فِي الْخَبْرِ عَنِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

وَالْحَدِيثُ الثَّانِي: (عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ الْمَشْرِكِينَ قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (...). الْحَدِيثُ. (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ، وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ).

وَدِلَالَتُهُ عَلَى فَضْلِ «سُورَةِ الْإِحْلَاصِ»: مَا فِيهَا مِنْ بَيَانٍ وَحَدَائِثِ اللَّهِ، الَّتِي تَدُلُّ عَلَى كَمَالِهِ الَّذِي يُبَيِّنُ بِهِ الْخَلْقَ فِي النِّسْبَةِ إِلَى الْآبَاءِ.

ثُمَّ ذَكَرَ تَفْسِيرَ هَذِهِ السُّورَةِ، فَقَالَ: (لَمَّا كَانَ الدِّينُ مَبْنِيًّا عَلَى الْإِحْلَاصِ؛ أَخْلَصَ اللَّهُ هَذِهِ السُّورَةَ لِنَفْسِهِ)، فَتَخْلِيصُهُ السُّورَةَ فِي نَفْسِهِ تَنْوِيهٌ بِالْإِحْلَاصِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ.

قَالَ: (أَمْرًا رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُبَلِّغَ عَنْهُ فَقَالَ لَهُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾؛ أَي قُلْ أَيُّهَا الرَّسُولُ مَبْلُغًا: إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْأَحَدُ الْمُنْفَرِدُ بِالْكَمَالِ، الْمُتَفَرِّدُ بِالْأُلُوْهِيَّةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ وَالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، فَلَا يُشَارِكُهُ أَحَدٌ فِيهَا).

وَالْخَبْرُ عَنِ الْأَوْامِرِ الْإِلَهِيَّةِ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِنَا: (أَيُّهَا الرَّسُولُ) فِي نَحْوِ قَوْلِهِ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾؛ (أَي قُلْ أَيُّهَا الرَّسُولُ)، وَفِي نَحْوِ قَوْلِهِ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ [هود: ١١٤]؛ (فَأَقِمِ أَيُّهَا الرَّسُولُ الصَّلَاةَ) أَوْ (أَيُّهَا النَّبِيُّ) = أَحْسَنُ مِنَ الشَّائِعِ فِي كُتُبِ الْمُفَسِّرِينَ مِنْ قَوْلِهِمْ: (قُلْ يَا مُحَمَّدُ)؛ لِأَنَّ الْمَأْمُورَ بِهِ هُوَ الْخَبْرُ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْوَصْفِ الْكَامِلِ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ وَالرِّسَالَةِ، وَأَشَارَ إِلَى هَذِهِ النُّكْتَةِ الْعَلَامَةِ عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ بَادِيسَ فِي آخِرِ «تَفْسِيرِهِ»، وَاعْتَذَرَ عَمَّا بَدَرَ مِنْهُ فِي أَوَّلِ التَّفْسِيرِ مِنْ جَرِيَانِهِ وَفَقَّ الْمَشْهُورِ عِنْدَ الْمُفَسِّرِينَ.

فَالْأَكْمَلُ فِي الْأَدَبِ: أَنْ يُؤْتَى فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ بِقَوْلِ: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ) أَوْ (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ)، لَا بِقَوْلِ: (يَا مُحَمَّدُ)؛ فَإِنَّا نُنْخِرُ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَفْسِيرًا لِأَمْرِ اللَّهِ لَهُ بِالْأَكْمَلِ.

ثُمَّ قَالَ: (وَأَنَّهُ هُوَ ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾؛ أَي السَّيِّدُ الْكَامِلُ الْمَقْصُودُ فِي قَضَاءِ الْحَوَائِجِ، فَالْخَلْقُ مُفْتَقِرُونَ إِلَيْهِ، وَهُوَ مُسْتَعْنٍ عَنْهُمْ)؛ فَصَمَدَانِيَّةُ اللَّهِ تَجْمَعُ أَمْرَيْنِ:

- أَحَدُهُمَا: كَمَالُهُ فِي نَفْسِهِ، فَهُوَ السَّيِّدُ الْكَامِلُ.
- وَالْآخَرُ: افْتِقَارُ الْخَلْقِ إِلَيْهِ؛ فَهُوَ مَقْصُودُهُمُ الَّذِي يَتَوَجَّهُونَ إِلَيْهِ فِي قَضَاءِ الْحَوَائِجِ.

ثُمَّ قَالَ: (وَمِنْ كَمَالِهِ ﴿لَمْ يَكِلِدْ وَلَمْ يُوَلِدْ﴾ ٣، فَلَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَا وَالِدٌ، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ٤، فَلَا يُكَافِئُهُ أَحَدٌ فِي ذَاتِهِ، وَلَا فِي أَسْمَائِهِ، وَلَا فِي صِفَاتِهِ، وَلَا فِي أَفْعَالِهِ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ لِأَنَّ حَقِيقَةَ الْوَحْدَانِيَّةِ أَنْ يَكُونَ سُبْحَانَهُ وَاحِدًا فِي ذَاتِهِ، وَاحِدًا فِي أَسْمَائِهِ، وَاحِدًا فِي صِفَاتِهِ، وَاحِدًا فِي أَفْعَالِهِ.



قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَقَّ الشُّرْهُ:

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْفَلَقِ

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَمْ تَرَ آيَاتِ أَنْزَلَتْ اللَّيْلَةَ؛ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾﴾. رواه مسلم.

وَمَعْنَى «لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ»: فِي الْاِسْتِعَاذَةِ بِهِنَّ.

وَكَانَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أُوِيَ إِلَى فَرَاشِهِ كُلِّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا بِالْإِخْلَاصِ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ، ثُمَّ يَمَسْحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ: يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ، وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَيَنْفُثُ، وَيَمَسْحُ بِيَدِهِ، وَإِذَا مَرِضَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ نَفَثَ عَلَيْهِ بِهَا. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ [الفلق].

أَمَرَ اللَّهُ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سُورَةِ الْإِخْلَاصِ أَنْ يَقُولَ مُبَلِّغًا، وَأَمْرُهُ فِي سُورَةِ الْفَلَقِ وَالنَّاسِ أَنْ يَقُولَ مُتَعَوِّذًا، فَقَالَ لَهُ هُنَا: ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾؛ أَيُّ الْجَأِّ وَأَعْتَصِمُ؛ ﴿بِرَبِّ

أَفَلَقِي ﴿ وَهُوَ الصُّبْحُ، ﴿ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿ اللهُ مِنَ المَخْلُوقَاتِ، وَأُرِيدَ بِهِ بَعْضُهَا، وَهُوَ كُلُّ مَخْلُوقٍ فِيهِ شَرٌّ.

ثُمَّ ذَكَرَ بَعْضَ أَفْرَادِ المَخْلُوقَاتِ المَشْتَمَلَةِ عَلَى شَرٍّ، فَقَالَ: ﴿ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقِي إِذَا وَقَبَ ﴿ وَهُوَ اللَّيْلُ إِذَا اسْتَحْكَمَ ظِلَامُهُ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ انْتِشَارِ الأَرْوَاحِ الشَّرِّيرَةِ، وَالحَيَوَانَاتِ المُوْذِيَةِ، وَعِنْدَ التِّرْمِذِيِّ بِسِنْدٍ حَسَنٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا؛ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَظَرَ إِلَى القَمَرِ، فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ؛ اسْتَعِيدِي بِاللهِ مِنْ شَرِّ هَذَا، فَإِنَّ هَذَا هُوَ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ»، فَجَعَلَ القَمَرَ عَلامَةً لَهُ.

﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي العُقَدِ ﴿ وَهِيَ الأَنفُسُ السَّوَاحِرُ مِنَ الرِّجَالِ والنِّسَاءِ، اللَّوَاتِي يَسْتَعِنَّ عَلَى سِحْرهنَّ بِالنَّفْخِ مَعَ رِيْقٍ لَطِيفَةٍ فِي العُقَدِ المَشْدُودَةِ عَلَيْهِ.

﴿ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿ وَهُوَ مَنْ يَكْرَهُ وَصُولَ النِّعْمَةِ إِلَى مَحْسُودِهِ، اسْتِعَاذَ مِنْهُ إِذَا تَارَ حَسَدُهُ وَبَرَزَ.

وَقَدْ تَضَمَّنَتْ هَذِهِ السُّورَةُ الاسْتِعَاذَةَ مِنْ أَنْوَاعِ الشُّرُورِ عُمُومًا، وَمِنْ أَصُولِهَا خُصُوصًا.



قَالَ الشَّارِحُ وَقَفَّ السُّنُّ:

ذَكَرَ المُصَنِّفُ - وَفَّقَهُ اللهُ - فِي هَذِهِ الجُمْلَةِ (تَفْسِيرِ سُورَةِ الفَلَقِ).

وَابْتَدَأَهُ بِذِكْرِ فَضْلِ هَذِهِ السُّورَةِ، وَقَرَنَهُ بِفَضْلِ تَابِعَتِهَا وَهِيَ «سُورَةُ النَّاسِ»؛

لِاجْتِمَاعِهِمَا فِي اسْمِ «المُعَوِّذَتَيْنِ».

فَذَكَرَ حَدِيثَ (عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)؛ أَنَّهُ (قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أَنْزَلْتَ اللَّيْلَةَ...»). الْحَدِيثُ.

وَدِلَالَةُ الْحَدِيثِ عَلَى فَضْلِ «الْمُعَوِّذَتَيْنِ»: فِي قَوْلِهِ: («لَمْ يَرِ مِثْلُهُنَّ قَطُّ»).

ثُمَّ فَسَّرَ هَذَا فَقَالَ: (وَمَعْنَى «لَمْ يَرِ مِثْلُهُنَّ قَطُّ»: فِي الْإِسْتِعَاذَةِ بِهِنَّ)، فَأَكْمَلَ مَا يُسْتَعَاذُ بِهِ هُوَ قِرَاءَةُ «سُورَةِ الْفَلَقِ وَالنَّاسِ».

قَالَ: (وَكَانَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أُوِيَ إِلَى فِرَاشِهِ) - أَي جَاءَ إِلَى مَوْضِعِ نَوْمِهِ بِاللَّيْلِ - (كُلَّ لَيْلَةٍ)، فَقِرَاءَةُ «سُورَةِ الْإِحْلَاصِ» مَعَ «الْمُعَوِّذَتَيْنِ» مُخْتَصَّةٌ بِنَوْمِ اللَّيْلِ. قَالَ: (جَمَعَ كَفِّيهِ)؛ أَي جَعَلَ إِحْدَاهُمَا إِزَاءَ الْأُخْرَى، وَلَا يَجْعَلُ إِحْدَاهُمَا بَاطِنَ الْأُخْرَى، فَإِنْ وَضَعَ إِحْدَاهُمَا فِي بَاطِنِ الْأُخْرَى يُسَمَّى (ضَمًّا).

قَالَ: (ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا بِالْإِحْلَاصِ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ)؛ وَ(النَّفْثُ): إِخْرَاجُ هَوَاءٍ مَعَ رِيْقٍ لَطِيفَةٍ، فَإِنْ جُرِّدَ مِنَ الرِّيْقِ اللَّطِيفَةِ سُمِّيَ (نَفْخًا)، فَلَا بَدَّ مِنْ رِيْقٍ تَخْرُجُ. وَهَذَا النَّفْثُ يَكُونُ بَعْدَ قِرَاءَةِ السُّورِ؛ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ وَصُولَ بَرَكَةِ الرِّيْقِ بَعْدَ مُلَامَسَتِهِ قِرَاءَةَ الْآيَاتِ.

قَالَ: (ثُمَّ يَمَسْحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ: يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ، وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ)؛ فَيَقْرَأُ سُورَةَ «الْإِحْلَاصِ»، ثُمَّ «الْفَلَقِ»، ثُمَّ «النَّاسِ»، ثُمَّ يَنْفُثُ ثَلَاثًا، ثُمَّ يُعِيدُ الْقِرَاءَةَ، ثُمَّ يَنْفُثُ ثَلَاثًا، ثُمَّ يُعِيدُ الْقِرَاءَةَ، ثُمَّ يَنْفُثُ ثَلَاثًا.

قال: (وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اشْتَكَى) - أَي مَرِضَ - (يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَيَنْفُثُ، وَيَمَسْحُ بِيَدِهِ، وَإِذَا مَرِضَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ نَفَثَ عَلَيْهِ بِهَا. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

ففي هذه الجملة ثلاث فضائل لـ «سورة الفلق والناس»:

- والفَضِيلَةُ الْأُولَى: أَنَّهَا أَكْمَلُ التَّعَوُّذَاتِ.
 - والفَضِيلَةُ الثَّانِيَةُ: اسْتِعْمَالُهُمَا لِلْحِفْظِ عِنْدَ النَّوْمِ بِاللَّيْلِ.
 - والفَضِيلَةُ الثَّلَاثَةُ: اسْتِعْمَالُهُمَا فِي دَفْعِ الْمَرَضِ.
- وَهَاتَانِ السُّورَتَانِ تَسْمِيَانِ «المُعَوِّذَتَيْنِ»، وَيُقَالُ لَهُمَا أَيْضًا: «المُعَوِّذَاتُ».

والفرقُ بَيْنَ التَّنْيَةِ وَالْجَمْعِ:

- أَنَّ التَّنْيَةَ بِاعْتِبَارِ الْحَقِيقَةِ، فَهَذِهِ سُورَةٌ، وَهَذِهِ سُورَةٌ، وَمَقْصُودُ كُلِّ سُورَةٍ التَّعَوُّدُ، فَهُمَا «مُعَوِّذَتَانِ».
- وَأَمَّا الْجَمْعُ فَمَا أَخَذَهُ أَمْرَانِ:
- أَحَدُهُمَا: بِاعْتِبَارِ عَدَدِ آيَاتِهِمَا.
- وَالْآخَرُ: بِاعْتِبَارِ مَا فِيهِمَا مِنَ التَّعَوُّذِ مِنْ أَنْوَاعِ الشُّرُورِ.

ثُمَّ قَالَ فِي تَفْسِيرِ «سورة الفلق»: (أَمَرَ اللَّهُ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سُورَةِ الْإِحْلَاصِ

أَنْ يَقُولَ مُبَلِّغًا)؛ أَي فِي قَوْلِهِ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإحلاص]، فَهُوَ أَمْرٌ لِلْبَلَاغِ،

(وَأَمْرُهُ فِي سُورَةِ الْفَلَقِ وَالنَّاسِ أَنْ يَقُولَ مُتَعَوِّذًا، فَقَالَ لَهُ هُنَا: ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾؛ أَي أَلْجَأُ

وَأَعْتَصِمُ)، فَ(الاستِعَاذَةُ) هِيَ الْإِلْتِجَاءُ وَالْإِعْتِصَامُ.

(﴿بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ وَهُوَ الصُّبْحُ، ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ اللَّهُ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، وَأُرِيدَ بِهِ

بَعْضُهَا، وَهُوَ كُلُّ مَخْلُوقٍ فِيهِ شَرٌّ)؛ إِذْ لَيْسَ كُلُّ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ فِيهَا شَرٌّ؛ كَالْمَلَائِكَةِ

وَالْجَنَّةِ، فَيَكُونُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ مِنَ الْعَامِّ الَّذِي أُرِيدَ بِهِ الْخُصُوصُ؛

فَتَقْدِيرُهُ: (مِنْ شَرِّ كُلِّ مَخْلُوقٍ فِيهِ شَرٌّ).

(ثُمَّ ذَكَرَ بَعْضَ أَفْرَادِ الْمَخْلُوقَاتِ الْمُشْتَمَلَةِ عَلَى شَرٍّ، فَقَالَ: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ ﴿٣﴾ وَهُوَ اللَّيْلُ إِذَا اسْتَحْكَمَ ظَلَامُهُ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ انْتِشَارِ الْأَرْوَاحِ الشَّرِيرَةِ، وَالْحَيَوَانَاتِ الْمُؤْذِيَةِ)، فَالْغَاسِقُ (هُوَ اللَّيْلُ، وَشَاهِدُهُ فِي حَدِيثِ (عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ، فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ؛ اسْتَعِيدِي بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا، فَإِنَّ هَذَا هُوَ الْغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ»، فَجَعَلَ الْقَمَرَ عَلَامَةً لَهُ)؛ لِأَنَّ ظُهُورَ الْقَمَرِ يَخْتَصُّ بِاللَّيْلِ، فَلَيْسَ مُرَادُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْإِسْتِعَاذَةَ مِنَ الْقَمَرِ، لَكِنْ مُرَادُهُ الْإِسْتِعَاذَةَ مِنْ شَرِّ مَا يَكُونُ فِي اللَّيْلِ؛ لِأَنَّهُ مَحَلُّ الشُّرُورِ عَلَى مَا سَبَقَ بَيَانُهُ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ وَهِيَ الْأَنْفُسُ السَّوَاحِرُ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ)؛ فَالتَّأْنِيثُ فِي قَوْلِهِ: ﴿النَّفَثَاتِ﴾ بِاعْتِبَارِ الْأَنْفُسِ، لَا بِاعْتِبَارِ اخْتِصَاصِهِ بِالنِّسَاءِ، وَالْأَنْفُسُ: جِنْسٌ يَشْمَلُ الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ عَلَى حَدِّ سِوَاءِ.

ثُمَّ قَالَ: (اللَّوَاتِي يَسْتَعِنَّ عَلَى سِحْرِهِنَّ) (بِالنَّفْحِ مَعَ رِيْقٍ لَطِيفَةٍ فِي الْعُقَدِ الْمَشْدُودَةِ عَلَيْهِ)؛ فَالسَّوَاحِرُ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ يَعْمَدُونَ إِلَى نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ السِّحْرِ يُقَالُ لَهُ: (سِحْرُ الْعُقَدِ) - وَهُوَ أَشَدُّهُ -، فَيَعْمَدُونَ إِلَى عُقَدِ عُقَدٍ، ثُمَّ يَسْتَعِينُونَ بِالشَّيَاطِينِ فِي شَدِّهَا، وَيَنْفُثُونَ أَثْنَاءَ شَدِّهَا.

قَالَ: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ وَهُوَ مَنْ يَكْرَهُ وَصُولَ النِّعْمَةِ إِلَى مَحْسُودِهِ، اسْتِعَاذَ مِنْهُ إِذَا تَارَ حَسَدُهُ وَبَرَزَ)؛ فَقَوْلُهُ: ﴿إِذَا حَسَدَ﴾)؛ أَي إِذَا ظَهَرَ حَسَدُهُ وَبَرَزَ.

وَالْحَسَدُ هُوَ كَرَاهِيَّةٌ وَصُولُ النِّعْمَةِ، وَلَوْ لَمْ يَتَمَنَّ زَوَالَهَا؛ فمُجَرَّدُ وُجُودِ الْكَرَاهِيَّةِ يُسَمَّى (حَسَدًا)؛ ذَكَرَهُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ الْحَفِيدُ، وَصَاحِبُهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ الْقَيْمِ، وَالْوَضْعُ اللَّغْوِيُّ يُدَلُّ عَلَيْهِ.

قَالَ: (وَقَدْ تَضَمَّنَتْ هَذِهِ السُّورَةُ الاسْتِعَاذَةَ مِنْ أَنْوَاعِ الشُّرُورِ عُمُومًا) فِي قَوْلِهِ: ﴿مِنْ

شَرِّ مَا خَلَقَ﴾، قَالَ: (وَمِنْ أَصُولِهَا خُصُوصًا) فِيمَا تَلَا ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.



قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَ اللَّهُ:

تَفْسِيرُ سُورَةِ النَّاسِ

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ① مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَهِ النَّاسِ ③ مِنْ شَرِّ
الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ④ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ⑤ مِنَ الْجِنَّةِ
وَالنَّاسِ ⑥ ﴾ [الناس].

مُسْتَهْلُ هَذِهِ السُّورَةِ كَسَابِقَتِهَا، فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقُولَ مُتَعَوِّذًا،
فَقَالَ لَهُ: ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾؛ أَيِ الْجَأِّ وَأَعْتَصِمُ، ﴿بِرَبِّ النَّاسِ﴾ وَهُوَ سَيِّدُهُمُ الْمَالِكُ
الْمُصْلِحُ لَهُمْ، ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ وَمُلْكُهُ مِنْ رَبُّوبِيَّتِهِ لَكِنْ أُفْرِدَ لِجَلَالَةِ مَوْجِعِهِ، ﴿إِلَهِ
النَّاسِ﴾: مَعْبُودِهِمْ بِحَقٍّ؛ ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ وَهُوَ الشَّيْطَانُ، ﴿الَّذِي
يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ فَيَحْسِنُ لَهُمُ الشَّرَّ، وَيَقْوِي إِرَادَتَهُمْ لَهُ، وَيُقَبِّحُ لَهُمُ
الْخَيْرَ وَيُثَبِّطُهُمْ عَنْهُ، فَإِذَا اسْتَعَاذَ مِنْهُ الْعَبْدُ تَأَخَّرَ وَانْدَفَعَ عَنْهُ، فَالْخَنَّاسُ هُوَ الْمُتَأَخِّرُ
الْمُنْدَفِعُ إِذَا ذَكَرَ الْعَبْدُ رَبَّهُ وَاسْتَعَاذَ بِهِ فِي دَفْعِهِ، وَمَحَلُّ وَسْوَاسَتِهِ: صُدُورُ الْخَلْقِ ﴿مِنْ
الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾.

تَمَّ بِحَمْدِ اللَّهِ

ضَحْوَةَ السَّبْتِ فِي السَّادِسِ عَشَرَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ

سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَأَلْفِ

قَالَ الشَّارِحُ وَقَتَهُ:

خَتَمَ الْمُصَنِّفُ - وَقَفَّهُ اللَّهُ - هَذِهِ النُّبْذَةَ الْمَيْسِرَةَ بِـ (تَفْسِيرِ سُورَةِ النَّاسِ)، فَقَالَ:
 (مُسْتَهْلٌ هَذِهِ السُّورَةُ كَسَابِقَتِهَا) - أَيِ الْفَلَقِ - (فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ
 يَقُولَ مُتَعَوِّذًا، فَقَالَ لَهُ: ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾؛ أَيِ الْجَأْ وَأَعْتَصِمُ)، عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ أَنْ
 (الاستعاذة) هي الالتجاء والاعتصام.

﴿بِرَبِّ النَّاسِ﴾ وَهُوَ سَيِّدُهُمُ الْمَالِكُ الْمُصْلِحُ لَهُمْ، وَفَقَّ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ مَعَانِي
 (الرَّبِّ) فِي لِسَانِ الْعَرَبِ.

﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ وَمُلْكُهُ مِنْ رُبُوبِيَّتِهِ؛ فَقَوْلُهُ: ﴿بِرَبِّ النَّاسِ﴾ يَنْدَرِجُ فِيهِ مُلْكُ
 اللَّهِ، لَكِنْ أُفِرِدَ الْمُلْكَ، كَمَا قَالَ: (لَكِنْ أُفِرِدَ لِجَلَالَةِ مَوْقِعِهِ)، فَإِنَّ الْمُلْكَ مِنْ أَعْظَمِ
 مَشَاهِدِ الرُّبُوبِيَّةِ.

وَأَعْظَمُ مَشَاهِدِ الرُّبُوبِيَّةِ فِي الْقُرْآنِ أَرْبَعَةٌ:

- أَوَّلُهَا: الْمُلْكُ.
- وَثَانِيهَا: الْخَلْقُ.
- وَثَالِثُهَا: الرَّزْقُ.
- وَرَابِعُهَا: (الْأَمْرُ)؛ وَهُوَ تَدْبِيرُ الشُّؤُونِ وَتَصْرِيْفُهَا.

قَالَ: ﴿إِلَهُ النَّاسِ﴾: مَعْبُودِهِمْ بِحَقٍّ؛ ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ وَهُوَ
 (الشَّيْطَانُ)، فَإِنَّهُ الْمُخْتَصُّ بِالْوَسْوَسَةِ، وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا: الشَّيْطَانُ الْجِنِّيُّ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ
 الْإِنْسِيَّ لَا يُوسِسُ؛ فَالْوَسْوَسَةُ فِي الْبَاطِنِ، وَالشَّيْطَانُ الْإِنْسِيُّ يَكُونُ فِي الظَّاهِرِ، فَالِقَاؤُهُ
 يُسَمَّى (وَشْوَشَةً).

فَالِقَاءُ الشَّيَاطِينِ نَوْعَانِ:

- أَحَدُهُمَا: إِقَاءُ الشَّيْطَانِ الْجِنِّيِّ، وَهُوَ بَاطِنٌ، وَيُسَمَّى (وَسْوَسَةً).
- وَالْآخَرُ: إِقَاءُ الشَّيْطَانِ الْإِنْسِيِّ، وَهُوَ ظَاهِرٌ، وَيُسَمَّى (وَشُوشَةً).

قَالَ: ﴿الَّذِي يُوسَّوْسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ ﴿فِيحَسِّنُ لَهُمُ الشَّرَّ، وَيَقْوِي إِرَادَتَهُمْ لَهُ، وَيُقَبِّحُ لَهُمُ الْخَيْرَ وَيُثَبِّطُهُمْ عَنْهُ﴾؛ فَ(الْوَسْوَسَةُ) هِيَ تَحْسِينُ الشَّرِّ وَتَقْوِيَةُ إِرَادَتِهِ، وَتَقْبِيحُ الْخَيْرِ وَالتَّشْبِيهُ عَنْهُ. وَ(التَّشْبِيهُ) هُوَ التَّخْذِيلُ.

قَالَ: (فَإِذَا اسْتَعَاذَ مِنْهُ الْعَبْدُ تَأَخَّرَ) - أَي رَجَعَ - (وَأَنْدَفَعَ عَنْهُ، فَالْحَنَاسُ هُوَ الْمُتَأَخَّرُ الْمُنْدَفِعُ إِذَا ذَكَرَ الْعَبْدُ رَبَّهُ وَاسْتَعَاذَ بِهِ فِي دَفْعِهِ).

ثُمَّ قَالَ: (وَمَحَلُّ وَسْوَسَتِهِ: صُدُورُ الْخَلْقِ ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾)، فَالشَّيْطَانُ الْجِنِّيُّ يُوسَّوْسُ فِي صُدُورِ الْخَلْقِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ؛ وَالنَّاسُ: اسْمٌ يَشْمَلُ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ - فِي أَصَحِّ قَوْلِي أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ -؛ لِأَنَّهُ مِنَ (النَّوَسِ)، وَهُوَ الْحَرَكَةُ وَالِاضْطِرَابُ، وَهُوَ وَصْفٌ مَوْجُودٌ فِي الْإِنْسِ وَالْجِنِّ.

وَبِهَذَا نَكُونُ قَدْ فَرَعْنَا بِحَمْدِ اللَّهِ مِنَ الْكِتَابِ الثَّانِي، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

تَمَّ الشَّرْحُ فِي مَجْلِسِ وَاحِدٍ

بعد عصر الجمعة الخامس من شهر ذي الحجة

سنة ست وثلاثين وأربعمائة وألف

في مسجد الشيخ ابن باز بمكة المكرمة



